

5^{me} Année, No. 207

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ١٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 21 - 6 - 1937

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

إبراهيم الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

الغزة الحضرية - القاهرة

ت رقم ١٢٣٩٠ ، ٥٢٤٥٥

العدد ٢٠٧ ، القاهرة في يوم الاثنين ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦ - ٢١ يولية سنة ١٩٣٧ ، السنة الخامسة

الادب و تحصيله

على ذكر مقال « ادب السندوتش »

للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

نعم صديق الأستاذ الزيات - صاحب الرسالة - على أدباء هذا الجيل الجديد ، جهلهم بلغتهم وتقصيرهم في تحصيل آدابها ، وقال : « ان الواقع الآليم أن الذين درسوا لغتهم وفقهوها من الأدباء النابهين نفر قليل . فاذا استثني هؤلاء الستة أو السبعة وهم من الكحول الراحلين ، وجدت طبقة الأدباء كطبقة الصناع والزراع والتجار يأخذون الأمور بالتقليد والمحاكاة ، لا بالدرس والمعاناة ، وقال أيضا : « ولا تجد في تاريخ العربية قبل هذا العصر ، ولا في تاريخ اللغات في جميع العصور ، من يحسب نفسه أدبيا في لغة وهو لا يعرف منها الا ما يعرف العامي الاكف »

وهذا صحيح . وأحسبني من الستة أو السبعة الذين أشار اليهم الأستاذ : وإن لم يكن الكحول فقد جاوزت الأربعين وقاربت الخمسين ، ولكني إن شاء الله من الباقيين لا من الراحلين ، فاني أحس من العزم والقوة والنشاط ما لوفرق بوضعه على الأدباء النابهين أو الناجحين في زماننا هذا ، لكفاهم

فهرس العدد

صفحة	
١٠٠١	الادب و تحصيله : الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني
١٠٠٤	كثرة البطولة أو ندرتها ؟ : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٠٠٦	إلى الأستاذ توفيق الحكيم : الأستاذ أبو خلدون سامح المصري
١٠١٠	الحرب الأهلية الأسبانية . : بقلم باحث دبلوماسي كبير
١٠١٣	الحكمة في الدين العربي { الأستاذ لحرى أبو السعود والانيكليزي
١٠١٦	البطولة وهل تدرت ؟ : الأستاذ فتحي رضوان
١٠١٨	ليلة في مكة : الدكتور عبد الكريم جرمانوس
١٠٢١	أول مدرسة مصرية قرآنية : الدكتور زكي مبارك
١٠٢٤	شكسبر والادب العربي . : الأستاذ جريس القسوس
١٠٢٧	نقل الأدب : الأستاذ محمد إسحاق النشاشيبي
١٠٢٩	هكذا قال زرادشت . . . : الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه
١٠٣٢	في فن التصوير .
١٠٣٥	ربعة الرقي رقصة الذئب والحل . : الدكتور عباس اقبال
١٠٣٦	حمى السباحة - كتاب جديد لما ربا و يمارك .
١٠٣٧	قسم التفكير والآداب بمرض باريس - آثار فرعونية في خطر - كتاب فارسي قديم في الجغرافية - كتاب النوى في الانجليزية - لجنة إحياء ذكرى المنفلوطي .
١٠٣٨	ممنون الفيلسوف (قصة) : بقلم فولتير للأستاذ عبد الطيف النشار

وزيادة . ولست أكتب لأقول هذا ، وإنما أريد أن أرسم للقراء صورة لأيام التحصيل الأولى . وأقول : الأولى ، لأننا ما زلنا دائبين على التحصيل لا نعرف له نهاية إلا نهاية الحياة نفسها .

عرفنا القراءة والاطلاع ونحن تلاميذ في المدارس الثانوية ؛ وأدع غيري وأحدث عن نفسي فأقول إن مواردى كانت محدودة جداً ؛ وكان حسبي أن أؤدى نفقات التعليم . وكنت أحمد الله إذا وجدت بعد ذلك قرشاً في اليوم . وكان من زملائي في مرحلة التعليم الثانوى الاستاذ حسن فهدى رفعت بك - وكيل الداخلية الآن - ولا أعرف كيف كان حاله ، ولكنى أعرف أنه كان يعيرنى ما يشتري من الكتب بعد أن يفرغ منها ؛ وقلنا كان يسترد ما يقرضنى من كتبه . وكان فريق منا يعنى بأن يحضر دروس الامام الشيخ محمد عبده ، والشيخ سيد المرصنى . وانتقلنا إلى التعليم العالى ، وكتب الله لى - على خلاف ما كنت أريد - أن أدخل مدرسة المعلمين العليا ، فكان مرشدى فيها وأستاذى ، زميلى وصديق الاستاذ عبد الرحمن شكرى ، فقد كان شاعراً ناضجاً ذا مذهب في الأدب يدعو اليه ؛ وكنت أنا مبتدئاً ، فصرفنى عن البهاء زهير وابن الفارض وابن نباتة ومن إلى هؤلاء ، ووجهنى إلى الأدب الجاهلى والأموى والعباسى ، ودلنى على ما ينبغي أن أقرأ من الأدب الغربى . وكانوا ينقدوننا في هذه المدرسة بضعة جنيهاً في الشهر : ثلاثة في السنة الأولى ، وأربعة في الثانية والثالثة ، فكنت أقسم هذه الجنيهاً قسمة عادلة ، فأدفع للبيت نصفها وأستأثر بالنصف ، وأذهب إلى مكتبة فأنتقى منها مؤونة الشهر . وكنت أعود إلى البيت بهذا الحل فتسألنى أمى : « أنفقت فلوسك كلها ؟ وتظل طول الشهر تقول لى : هاتى . هاتى . أى تدير هذا ؟ »

فأقول : « يا أمى .. لك مؤونتك من السمن والعسل والأرز والبصل والفلفل والثوم ، ولى مؤونتى من المتنبى والشريف الرضى والأغاني وهازليت وتناكرى وديكيز وما كولى ؛ ولا غنى بك عن سمنك وبصلك ، ولا بنى عن هؤلاء ؟ »

فتبسم وتقول : « طيب .. » وتدعولى بالتوفيق . وكنت أشتري ديوان الشاعر ورقاً ، أعنى بنير غلاف أو تجليد ، ليتسنى لى حين أخرج من البيت أن أحمل معى ملزمة

أو ملزمتين ، أقرأ فيهما وأنا جالس فى مقهى ، أو إذ أتمشى على شاطئ النيل . وكان حديثنا إذ نجتمع فى الأدب والكتب ؛ وكانت رسائلنا التى نتبادلها فى الصيف حين تفرق لا تدور إلا على ما نقرأ ؛ وكان أحدها يلقي صاحبه فى الطريق اتفاقاً فيقول له : « لقد عثرت على كتاب نقيس بغلاف فتعال نقرأه . لا يدعوه إلى طعام ، أو شراب ، أو سينا ، أو لحو ، بل إلى قراءة كتاب . وكان كل من يقع على كتاب قيم يخف به إلى صاحبه فينبئه به ويلخصه له ويحضه على اقتنائه . وكان أسانذتنا في مدرسة المعلمين يحثوننا على التحصيل ويسرون لنا أسبابه ، ما وسعهم ذلك ، فلما تركنا المدرسة وفرغنا من الطلب الرسمي ، كنا قد عرفنا أمهات الكتب فى الأدبين العربى والانجليزى ، وغيرهما أيضاً من الآداب ، ودرسنا أكثر شعراء العرب والغرب ، وكان لكل منا مكتبة الخاصة المختيرة وتزوجت . وفى صباح ليلة الجلوة ، دخلت مكتبتى ورددت الباب . وأدرت عيني فى رفوف المكتب ، فراقى منها ديوان « شيللى » فتناولته وانحططت على كرسى وشرعت أقرأ ، ونسيت الزوجة التى ما مضى عليها فى بيتى إلا سواد ليلة واحدة ؛ وكانوا يبحثون عني فى حيث يظنون أن يجدونى - فى الحمام ، وفى غرفة الاستقبال ، وفى « المنطرة » - حتى تحت السرير بحثوا ، ولم يخطر لهم قط أنى فى المكتبة ، لأنى « عريس » جديد لا يعقل فى رأيهم أن يهجر عروسه هذا المهجر القبيح الفاضح ؛ وكانت أمى فى « الكرار » أو المخزن تعد ما لا أدرى لهذا الصباح السعيد ، فأنبأوها أنى اختفيت كأنما انشقت الأرض فابتلعتنى ، وأنهم بحثوا وتقبوا فى كل مكان فلم يعثروا لى على أثر ، فاعمل ؟

فضحكت أمى وقالت : « ليس فى كل مكان ... اذهبوا إلى المكتبة فانه لاشك فيها ، »

فقلت حماق وضربت صدرها بكفها : « فى المكتبة ؟ يا نهار أسود ! وهل هذا وقت كتب وكلام فارغ ؟ »

فقلت أمى بجزع : « اسمعى ... كل ساعة من ساعات الليل والنهار وقت كتب ... افهمى هذا وأريحى نفسك ، فإن كل محاولة لصرفه عن الكتب ، عبث . »

يا ستي ولا تعطيني ، فتطيل عامدة لتضجرتي : و كلة واحدة بس ... لماذا تغضب هكذا ؟ ... ألا يتسع صدرك لكلمة ليس إلا ؟ ،

فأ كاد أجن وأقول : يا ستي قولها ، وأريحي ،
فقول : المسألة الفلانية ... ،

وأتهض ، وأمضي بها إلى الباب وأنا أقول : اصنعي ماتشائين .
كل ما بدا لك اصنعيه ، ولكن لا تعطيني ... أنا محتاج لعقلي كله الآن ... ألا تفهمين ؟ هذه نسخة مخطوطة ، منسوخة ... من ديوان ابن الرومي ... نسخها حمار كلها غلط وتحريف وتصحيف ، ... ليس فيها بيت واحد له معنى ... فكيف يمكن أن أصلح غلطة واحدة إذا كنت تطيرين لي عقلي بالفساتين والحياطة والركامة ... ؟ ؟ ... ،

فتبتسم ، فقد بلغت سؤلها ، وتعدني أن تحرس هذا الباب فلا تترك أحداً يدخل منه أو يقربه .

ومن العناء الذي تكلفته أني اشتريت الأغاني الذي طبعه الساسي ، - اشتريته ورقاً على عادي ، فكنت أراجع الأبيات التي ترد فيه ، في دواوين الشعراء أو كتب الأدب الأخرى ، فأصلحها أو أتمم القصيدة - أنسخ ذلك في ورقة وألصقها في الكتاب ، وكلما فرغت من جزء جلده ، وقد أصبح ضعف ما كان ؛ وهذا هو الكتاب الوحيد الذي بعته بأضعاف ثمنه ، فقد اشتريته بمائة قرش وخمسة قروش ، فلما بعته مكتبتي في سنة ١٩١٧ أو ١٩١٨ - لا أذكر - ابتاعه مني وراق بخمسين وسبع مائة قرش ، وقد ندمت على بيعه ، فأستطيع أن أصنع الآن ما صنعتُه قديماً ، ولكن العناء الذي تكبدته نفعتني ، فقد أحوجني إلى مراجعات لا آخر لها ، وأطلعني على ما كنت خليقاً أن أخطئه فيفوتني العلم به

وأنا مع ذلك أقل الثلاثة - العقاد وشكري - اطلاعاً وصبراً على التحصيل . وأدع للقاري أن يتصور مبلغ شرهما العقلي ؛ ولا خوف من المبالغة هنا ، فإن كل ظني دون الحقيقة التي أعرفها عنهما . وأنا أجتر كالحروف ، ولكنهما يقضيان قضم الأسود ، ويهضمان كالنعامة ، فليتي مثلما !

ابراهيم عبد القادر المازني

فقال حماتي : لو كنت أعرف هذا ... مسكينة يابتي ... وقعت وكان ما كان ،

فقال أمي : هل تكون مسكينة إذا وطدت نفسها على هذه المعرفة ؟ ويحسن أن تكبجي لسانك ، وأن تدعي الأمر لبنتك فانه من شأنها ،

فلم تكبح لسانها بل قالت : لو كانت ضرة ... لكان أهون !

فقال أمي : إنك حمقاء ... وليس في الأمر ما يحوج إلى هذا الهراء ... اذهبي إليه وناديه ... ،

فارتدت إلى ، وفتحت الباب على ، وكنت ذاهلاً ؛ فلما شعرت بالباب يفتح أزغني ذلك ، فأشرت إلى الداخل أن يرجع من غير أن أنظر إليه ؛ وكنت مقطباً ، وكان لسانى يخرج أصواتاً كهذه : شش اشش !

فخرجت المسكينة وأغلقت الباب ، وذهبت تقول لأمي والدوموع تنحدر من عينيها إلى طردتها وصحت بها : ههشش ! كما يصاح بالدجاج ؟

وقد عرفت هذا كله فيما بعد ، فطردتها ، لأن خفت أن تخرب لي البيت ؛ ثم إنى تزوجت بنتها ، ولم أتزوجها هي ، فما مقامها عندي ولها بيت طويل عريض وزوج كريم ؟ وكان رأي بنتها فيها مثل رأيي ، فلم يسؤها مني ما فعلت . وأراحنا الله من دوشتها ، ولكن زوجتي كانت تقول إلى آخر أيام حياتها رحمها الله : ليس لي ضرة سوى هذه الكتب - كانت تقولها مازحة ، فقد راضت نفسها على احتمال هذا الجنون مني ، واستطاعت أن تدرك أنه ليس لها ولا لسواها حيلة ، وأن في الوسع صرفي عن أى شيء إلا عن الكتب والدرس . وبأما أذكي المرأة ! تكون لها حاجة تريد مني قضاءها ، وتخشى رفضي وعنادي ، فتكتمها ولا تكاشفني بها ، وتنتظر حتى تراني غارقاً في كتاب ، وذاهلاً به عن الدنيا ، وآية الدهول أن تدخل مرات فلا أشعر بها ، فتقبل على وتلاطفني وهي عارفة بما سيكون مني ، فأعيس ، كما كانت تتوقع ، فتقول و كلة واحدة ... لن أعطلك ... ،

فأقول متمللاً متأقفاً : لا حول ولا قوة إلا بالله ! قولها

كثرة البطولة أو ندرتها ؟

للاستاذ عباس محمود العقاد

لخص العالم الفاضل الأستاذ أحمد أمين ما بيننا من خلاف على مسألة النبوغ والبطولة في ختام مقاله فقال :

« عصرنا الحاضر طابعه طابع المؤلف والمعتاد لا طابع النابغة والبطل ، وإن كان مألوفنا ومعتادنا أرقى من نابغة القرون الماضية وبطل القرون الماضية

» إن كان هذا - يا أخي - هو الذي أردتُ فأظن أنه لا يرد على بمزايا العصر الحاضر ، وعلم العصر الحاضر ، وفن العصر الحاضر . وإذا كان النبوغ في السبق وكانت المقارنة بين عصرين بقياس مساقى البعد ، فأرجو أن نكون على وفاق فيما ذكرتُ وذكرتُ ،

وموضع الوفاق بين مقال الأستاذ وما قلت أننا لا ينبغي أن نقيس علم السابقين إلى علم المحدثين ، فليست المقارنة بين مقدار ما نعلم ومقدار ما يعلمون ، وإنما المقارنة بين الملكات في الزمن الماضي ، والملكات في الزمن الحاضر ، وهذا ما يختلف عليه ؛ إذ لا موجب عندي لأن تكون ملكات النابغين في عصرنا أقل مما كانت في عصر الأقدمين

إن النبوغ صفة في أصحابها وليست صفة في غيرهم ، فإذا تعلم غير النابغين أو لم يتعلموا فصفة النبوغ باقية في أصحابها سواء ظهروا بين المتعلمين أو ظهروا بين الجهلاء . وكل ما هنالك من فرق أن النابغة الذي يظهر بين المتعلمين أنبغ من زميله الذي يظهر بين الجهلاء ، وتلك شهادة للنابغين في العصر الحديث تضاف إلى ميزان الحسنات والمرجحات

ومسافة البعد بين النابغ القديم ومعاصريه ، هي مسافة البعد بين نابغينا وأبناء عصرنا إذا نحن تجاوزنا مسألة التعليم ووفرة المتعلمين ، لأن النبوغ ملكة مطبوعة ، والمسافة بين المطبوعين وغير المطبوعين اليوم هي المسافة بين الفريقين قبل مائة عام أو ألف عام . فليس فضل إديسون في زماننا أنه يعرف في علم الضوء وعلم الصوت ما ليس يعرفه أبناء عصره ،

ولكننا فضلنا أنه نابغ وهم غير نابغين ، فأفاد بالعلم اليسير ما لم يفده الآخرون بالعلم الغزير ، وظلت المسافة بينهم وبينه في النبوغ كالمسافة بين أرخميد ومن عاصروه من غير النابغين ، وإن اختلف العصران في شيوع العلم وكثرة المتعلمين

يقول الأستاذ الفاضل : « مقياس النابغة في نظري أن يفوق أهل زمانه ويسبقهم في فنه أو علمه أو أدبه حتى لا يدركوه إلا بعد أزمان ، وعلى مقدار هذا السبق يكون النبوغ . فسيديوه نابغة في النحو ، لأنه رأى من قواعده ما عجز أهل زمانه عن النظر إليه ،

وأنا أقول كما يقول الأستاذ : إن النابغة يفوق أهل زمانه في معرض من معارض العلوم والفنون ، ولكني لا أقول إن عصرنا لم ينجب أمثال سيديوه ، بل أقول إن سيديوه لو عاش في عصرنا لما فاق نوابغه الأحياء ، وإن نوابغنا الأحياء لو عاشوا في عصره لما قصرُوا عن شأوه ، لأن الملكات التي تعرف وحدة الاسماء والأفعال بين لغات أوروبا ولغات آسيا لا تقل عن الملكات التي تعرف الوحدة أو الاختلاف بين قبيلة وقبيلة من أبناء البادية ، لا لأن الأمر يرجع إلى كثرة المتعلمين عندنا وقلة المتعلمين قبل نيف وعشرة قرون

وعندي أن المعاصرين ينظرون إلى نوابغهم وأبطالهم كما كان الأقدمون ينظرون إلى النوابغ والأبطال في عصورهم إلا من كان منهم موسوماً بسمه الدين أو محوطاً بهالة الإيمان . فالأستاذ يقول إن نابليون ظهر ، فاستعبد الناس وأجرى الدماء أنهاراً وقلب الممالك رأساً على عقب ودوخ الدنيا فكان نابغة حقاً في ناحية . وبيننا الآن في عصرنا من هم أعلم منه بفنون الحرب ومن هم أقوى منه إرادة وأبعد نظراً ، ولكن من الصعب أن نسميهم نوابغ ، لأن الناس ليسوا مغفلين كما كانوا أيام نابليون ، ولأنه وحده كان هو القاهر المرید ومن حوله كانوا المنفذين للأمورين ، فظهر ولم يظهروا ، ونبغ ولم ينبغ بجانبه إلا قليل .

فليت الأمر كما يبشرنا الأستاذ من هذه الناحية ؛ إنما الواقع أن أحداً من أبناء القرن الثاني عشر لم يناد بأن الأمبراطور معصوم كما ينادى الفاشيون من أبناء القرن العشرين بعصمة والدوتشي ، وطاعته بغير تفكير ولا امتعاض

ولقد كان المشركون ينكرون النبي عليه السلام ولا ينكرون منه إلا أنه ، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . . . ترى هل كان الأنبياء فيما مضى لا يأكلون طعاما ولا يمشون في سوق ؟ كلا بل كانوا يأكلون ويمشون ، ولكنهم بعدوا واحتجوا بخيل إلى غير معاصريهم أنهم مختلفون

ومن العلل التي تجنح بعضهم إلى تهيب السلف الصالح ، أننا ننظر إليهم كما ننظر إلى الآباء والأجداد ، كأنهم كبار ونحن صغار ، لأنهم ولدوا قبلنا بمائة عام أو مئات من الأعوام ، وينسى المتحيون أن السابقين كانوا أطفالا في سن الطفولة وأننا سنصبح شيوخا مع السنين أو نربي في الشيخوخة على أولئك الآباء والأجداد

ومن تلك العلل ما أومأنا إليه في مقالنا الأول عن سهو الذين يقارنون بين الماضي والحاضر فيجعلونهما كفتين تتساويان في نطاق الزمان والمكان ، مع أن الحاضر زمن واحد والماضي حاضرا قد تكرر عشرات ومئات

وعندنا نحن الوارثين للثقافة العربية سبيان آخران لا يلحظان بهذه القوة في جميع الشعوب : أحدهما أن العربي يعتز بالأنساب وينوط الفخار كله بماضيه ، لأنه سلالة من القبائل التي تغلب فيها العصبية وترسخ فيها الأصول

والثاني أن الماضي أقرب إلى منشأ الدين ، فيخيل لنا أن الأقدم فالأقدم هو الأصح فالأصلح والأعلم فالأعلم ، وإن لم تدلنا الدلائل على اطراد هذا القياس

تلك الأسباب كلها خليفة أن تضاعف احتراستا كلما عمدنا إلى الموازنة بين حاضر وغائب وقريب وبعيد . فهي صنعة تؤخذ من كفة الأقدمين وتضاف إلى كفة المحدثين في ميزان الانصاف . وما لا شك فيه أن ملكات النبوغ لا تقل في عصرنا بل هي أحجب أن تزيد وتنشط ، بل هي قد زادت ونشطت فعلا باتساع مجال السعي والمنافسة والتفكير والاستنباط ؛ وما لا شك فيه أن الأقدمين لم ينظروا إلى معاصريهم إلا كما ننظر نحن إلى معاصرينا ، وأنهم لم يشعروا قط بتلك الهابة التي نضفيها عليهم الآن ولا بذلك الترجيح الذي نمحضهم إياه . أما أنهم كانوا يرون نوابغهم وأبطالهم

والواقع أن نابليون لم يحسر يوماً على صنيع كالذي صنعه الفوهرر ، قبل ثلاث سنوات من « تطهير » البلاد بلا محاكمة ولا سؤال

وقد كان « لفين » ينحى على القديسين ، ولا يعترف للعظماء بأثر في توجيه التاريخ إلى الأثر الذي يعترف به الشيوعيون ، فلما مات أقاموا له ضريحاً لم يحلم به كاهن ولا راهب في عهد القياصرة أو عهد الكنائس والقديسين

وإننا لنسمع كل يوم عن الألوف التي تندفع حول نوابغ الصور المتحركة للظفر بتوقيع بطاقة أو صورة شمسية ، كما نسمع بالألوف التي تندفع من أجل هذا حول أبطال الألعاب الرياضية وأبطال السياحة والطيران وأشباههم من أصحاب الشهرة في كل ميدان يتصل بالجاهير . أما العلماء والأدباء فمن نبغ منهم واشتهر فليس نصيبه من الإعجاب والجزاء بأقل من نصيب أمثاله قبل أجيال وأحقاب ، ومن لم ينبغ ولم يشتهر فله قرناء يماثلونه بؤسا وغنا وشظفا في أقرب العصور وأبعد العصور

لا ، بل نحن لا نستثنى أصحاب المكانة الدينية على إطلاق الاستثناء ، فما يربحه الدعاة باسم الدين اليوم لا يقل عما كانوا يربحونه في الأيام الخالية ؛ والثقة بأغاخان لليوم وهو يعيش في أوربا عيشة المترفين المطلقين لا تقل عن الثقة بإمام زاهد عاكف على العبادة كان يعيش في صومعته قبل عصر الكشف والاختراع

ولم تنفرد نحن بالكبار البعيد في الزمان أو المكان وترجيحه على أنداده وقرنائه الذين نراهم رأي العين ونعرفهم بالمصاحبة واللقاء ، فقد بما كانوا يقولون إن زامر الحى لا يحظى باطراب ، وقد بما كان الجاحظ يكتب الرسائل وينحلها الكتاب الأسبقين ليحظى بالأصغاء والتفريط

وأحسب أن إثارة الماضي على هذا النمط له علة شائعة بل علل شائعة لا تنحصر في وقت ولا يتخلو منها قبيل فالماضي يشبه المثل الأعلى لأنه غائب عن الانظار كالمثل الأعلى في هلالته وخيالته ، أما الحاضر فهو كالواقع المحسوس الذي نجب أبدأ أن تتجاوزه ونطمح إلى ما وراءه

العلم والوطنية

الى الأستاذ توفيق الحكيم

من الأستاذ أبي خلدون ساطع الحصرى
مدير دار الآثار ببغداد

قرأت الكلمة الرشيدة التي ديجتها يراعتكم الفنانة ، في
صدد الرد على استفاء الرابطة العربية حول مسألة العلم
للعلم أم العلم للوطنية ؟
قرأتها بامعان واهتمام ، وأعجبت بالآخيلة والتشبيات
التي تحملت بها ؛ غير أنني لم أقتنع بصحة الأفكار والآراء التي
تضمنتها
لقد قلتم بصيغة التأكيد الحاسم : العلم والوطنية لا يمكن
أن يتفقا ...

إذن فأنتم تعتقدون أن العلم والوطنية مختلفان ؛ وزيادة
على ذلك تقولون بأن اختلافهما هذا سيستمر إلى الأبد ،

كما نراهم الآن فذلك ما يخالف فيه الأستاذ لأنه خلاف
المعهود والمروى والمسطور . وهبهم أكبروا معاصريهم
لأنهم قلائل ، وأصغرنا معاصرينا لأنهم كثيرون لا نادرون
كما يقول الأستاذ الفاضل ، فانما يكون ذلك كالذهب الذي
يكثر تداوله فيرخص سعره وهو ذهب لاشك فيه ، وانما
يكون النوبغ نيوغاولا يكون شيئا آخرهما يكن حظ الناس
من التعليم ، لأنه ملكة في الطباع لا يختلف كنهها وإن اختلفت
أنظار الناس اليها ، ولا تزال الانسانية بحاجة إلى الكثير
منهم والقليل

وخلاصة القول أننا نستطيع أن نقول مع الأستاذ
الكبير إن النوبغ في عصرنا كثرة لاندرة ، ولا نستطيع أن
نقول معه ان المسافة بين النابغ وسواد الناس تقترب في
العصر الحديث ، لان ازدياد التعليم يزيد نصيب المتعلم من
المعرفة ولا يخوله فطرة أخرى ولا ملكة مطبوعة كتلك
التي يخلق بها النابغون الممتازون عباسي محمود العقاد

ولن يزول في يوم من الأيام ...
على أني أعترف أيها الأستاذ بأنني من الذين يدينون
بدين العلم والوطنية في وقت واحد ، ومن الذين يقولون
على الدوام بوجوب نشر الروح العلى ، من جهة ، و تقوية
الشعور الوطنى ، من جهة أخرى
أفلا تعذروتنى إذن إذا ما اعتبرت نظرتكم هذه من
الخطورة بمكان ، فأخذت على عاتق مناقشتكم فيها مناقشة
شاملة لآظهار الحقيقة التي أعتقدها ؟

تقولون ، أيها الأستاذ ، بأن العلم والوطنية لا يمكن أن
يتفقا ، وتحاولون أن تبرهنوا على هذه الدعوى بثلاث قضايا :
١- إن الوطنية هي الانانية في المجموع ،
والانانية عمياء ،

٢- والعلم هو البصر - المنزه - بحقيقة الأشياء ...
إننى لا أود أن أبدأ المناقشة بالبحث عن مبلغ صحة هذه
القضايا ؛ بل أود أن أسلم بها مؤقتاً ، لأرى هل تكفى للدلالة
على صحة رأيكم في هذا الصدد ...
تقولون : ١- إن الوطنية هي الانانية في المجموع ، فهل
تستطيعون أن تقولوا - في الوقت نفسه - بأن العلم ينكر
الانانية على الإطلاق ، ولا يعترف بأثرها في حياة الحيوان
والانسان ؟

تقولون : ٢- إن الانانية عمياء ، فهل تستطيعون أن تقولوا
- في الوقت نفسه - إن العلم يخالف كل ما هو أعمى ؟ أفنتكرون
أن القوى الطبيعية أيضاً عمياء ؟
تقولون : ٣- إن العلم هو البصر المنزه بحقيقة الأشياء ، فهل
تستطيعون أن تأتوا ببرهان يدل على أن الوطنية - خارجة
عن حقائق الأشياء ، ؟ ...

كلا .. إن الوطنية قوة اجتماعية فعالة ، ليس إلى إنكارها
من سبيل ... آثارها تظهر دائماً ، من خلال الوقائع التاريخية
والحادثات الاجتماعية ، بكل وضوح وجللاء ففى تدخل لذلك في
نطاق وحقائق الأشياء ، كما تدخل فيه سائر القوى والمؤثرات
الطبيعية ، كالوراثة والمناعة والمغناطيسية والجاذبية ...
فاذا أردنا أن نجعل الوطنية موضوع بحث على ، يجب

فان العلم لا يختلف الآن إلا مع ما يخالف الواقع . .
وإننا مهما تعمقنا في تحليل طبيعة العلم من جهة وطبيعة الوطنية
من جهة أخرى لا نجد بينهما ما يستوجب الاختلاف بوجه
من الوجوه .

بعد أن وصلنا إلى هذه المرحلة من المناقشة أرى أن نترك
هذه الأحكام الآتية ، جانباً ، لنستقرى . الوقائع التاريخية
فتنظر فيما إذا كان العلم والوطنية قد اتفقا أم اختلفا فعلا في
مختلف الأجيال ...

إننى أستطيع أن أذكر وقائع تاريخية كثيرة تشهد على
« اتفاق العلم مع الوطنية ، و « خدمة العلم للوطنية ، بصورة
فعلية ، لعل أقدم هذه الوقائع يعود إلى عهد « أرخميدس ،
الشهير ، ويتعلق بقصة مقاومته للرومان ، فإن هذا العالم الكبير
الذى يعتبر من آباء علم الميكانيك ، والذى يتردد اسمه حتى على
ألسنة طلاب المدارس الابتدائية في دروس الطبيعة والأشياء ،
هذا العالم الكبير لعب (بعلمه) دوراً هاماً في تاريخ وطنه
سيراوسة ، فعند ما حاصرها الرومان ، وضع كل ما عنده
من علم وقوة تفكير واختراع إلى خدمة وطنه ، فاستعمل
المنجنقات والمرايا المحرقة لتخريب اسطول المحاصرين ،
فكن المدينة من الدفاع عن نفسها دفاع الأبطال . إذن ،
فالعلم والوطنية اتفقا في نفسية أرخميدس في أمر الدفاع عن
الوطن المحصور ، ولم يختلفا بوجه من الوجوه

ان الثورة الفرنسية أيضا تعطى لنا مثالا بارزا ، لتعاون
العلم والوطنية ، : عندما تألبت الدول الأوروبية على فرنسا
بقصد خنق الثورة في مهدها ، جابهت الدولة المذكورة
مشكلة كبرى ، كادت تقضى عليها لولا مساعدة العلم والعلماء
لها ، فان الحصار الذى أحاط فرنسا بالنار والحديد من كل
الجهات ، حرم رجال الثورة إمكان استيراد المواد الأصلية
الضرورية لصنع الصابون والبارود والمدافع والأسلحة ،
عندئذ فكرت لجنة الدفاع الشعبى في الاستفادة من علماء
الكيمياء ، فاستنضت منهم لتخليص الوطن من هذه الحنة .

أن ندرسها كما ندرس الحادثات والقوى الطبيعية بوجه عام ،
والحادثات والقوى الاجتماعية بوجه خاص ...

ولا جدال في أن العلم يدرس الكون وحادثات الكون
« بحياء تام » . يدرس خواص الأشياء ، ويتتبع سير الحادثات
ويتحرى أسبابها ، ويستقصى قوانينها ؛ وقد يتنبأ في بعض
الأحوال بمستقبلها أيضاً ، استنادا إلى القوانين التى اكتشفها
والعوامل التى أظهرها ... إنه يفعل كل ذلك ، دون أن يقدم على
استحسان أو استهجان الحقائق الثابتة بوجه من الوجوه ، دون
أن يتأثر بموافقة أو مخالفة تلك الحقائق لمصالحنا المادية أو
لنزعاتنا الفكرية بصورة من الصور . لأن مهمة العلم تنحصر
في معرفة حقائق الأشياء واكتشاف قوانين الحادثات ، ولا
يتعدى ذلك إلى تحييد أو تقييح تلك الحقائق أو استحسان
أو استهجان تلك القوانين ...

لنا أن نتخيل كونا غير هذا الكون ، ولنا أن نتصور
« مجتمعا غير هذا المجتمع ، ولنا ألا نكتفى بالتخيل والتصور
بهذه الصورة ، بل نوصل الأمر إلى درجة التنى ، فنتمنى أن
يتحول الكون إلى الحالة التى نتخيلها ، وأن يتطور المجتمع إلى
الحياة التى تصورناها . . ولنا أن نذهب إلى أبعد من ذلك أيضاً :
لنا أن نعتبر ما نتخيلناه وتصورناه في هذا الباب مثلا أعلى
نسعى إلى تحقيقه بنشاط وحماس ، وهدفاً أسمى تتجه نحوه
بقوة واندفاع ... لنا أن نفعل كل ذلك ، على أن نعلم في الوقت
نفسه ، بأن تفكيرنا وعملنا في هذا السيل يكون من قبيل
الشعراو الفلسفة أو السياسة ... فلا يدخل في نطاق « البحث
العلمي » بوجه من الوجوه ..

لكم ، أيها الأستاذ ، أن تمنوا زوال الانانية من الأمم ؛
ولكم أن تصبوا إلى رؤية مجتمع تغلب فيه مصلحة الدول على
مصلحة الدولة الواحدة ، ولكم إذا شئتم أن تقوموا بدعاية
ترمى إلى تضحية مصلحة الدولة الواحدة إلى مصلحة سائر
الدول . . فأنى لا أناقشكم في كل ذلك في هذا المقام ؛ غير
أننى أقول بأنه لا يحق لكم بوجه من الوجوه أن تعزوا
تمنياتكم ونزعاتكم هذه إلى « العلم » فتقولوا « العلم لا يتفق مع
الوطنية »

ومن هؤلاء العلماء « برتوله » و « فوركروا » وجهوا أبحاثهم العلمية وجهودهم الفكرية ، نحو إيجاد الطرق التي تساعد على إحضار المواد المذكورة بصورة صناعية من المواد الموجودة داخل البلاد ، فنجحوا في مساعهم هذا وخدموا وطنهم بذلك أجل الخدمات .

وأما بعد ذلك فنستطيع أن نقول : إن « خدمات العلم للوطنية » أصبحت من الأمور الاعتيادية التي يصعب احصاؤها فان صحائف تاريخ العلوم من جهة وتاريخ الدول من جهة أخرى مملوءة بأثلة دالة على ذلك ، ولا سيما ما حدث منها خلال الحرب العالمية .

ربما تقولون أيها الأستاذ ، « إن هذه كلها من الأمور التطبيقية ، وستكررون في هذا المقام رأيكم في « العلم وتطبيق العلم » لأنكم قلتم في كلمتكم « فالعلماء الحقيقيون لا يطبقون العلم ، إنما يعيشون حياتهم للمعرفة المجردة لا يتغنون من وراثتها غير مجرد الدنو منها . تلك لذتهم الكبرى ، أما رجال الأعمال الذين يأتون بعد ذلك لاستغلال نتائج هذا العلم فليسوا من العلماء وإن درسوا العلم دراسة عميقة »

فاسمحوا لي أن أقول : إن الطبيعة بعيدة عن مثل هذه التقسيمات القطبية في أمر « العلوم وتطبيقاتها » فان استغلال نتائج العلوم — بعد اكتشافها — لا يكون دائماً من عمل رجال آخرين غير العلماء المكتشفين ، بل كثيراً ما نشاهد في تاريخ العلوم أن العالم الباحث ، بعد أن يتوصل إلى معرفة الحقائق واكتشاف القوانين ينتقل بنفسه إلى التفكير في النتائج المأمولة والفوائد المتوقعة منها ، ويبحث عن تطبيقاتها فهل يحق لنا — في هذه الحالة — أن نخرجه من عداد العلماء بحجة أنه لم يكتف باكتشاف الحقيقة ، بل تعدى ذلك إلى التفكير في الاستفادة منها ؟ فهل يحق لنا مثلاً ألا نعتبر أرخميدس من « العلماء الحقيقيين » بالرغم من نظرياته واكتشافاته العلمية الكثيرة — لمجرد إقدامه على تطبيق بعض القوانين التي اكتشفها ؟ وهل يحق لنا أن نخرج « برتوله » من عداد العلماء — بالرغم من نظرياته وقوانينه المشهورة — لمجرد عدم اكتشافه تلك القوانين — وإقدامه على

توجيه بعض أبحاثه العلمية إلى الاتجاه الذي تتطلبه منه خدمة الوطن ؟

كلا ... إن مبدأ « العلم للعلم » يتطلب البحث عن الحقائق لنفسها ولولم ينتظر فائدة من وراء معرفتها ، غير أنه لا يتطلب الامتناع عن الاستفادة منها .

إن هذا المبدأ يتطلب الاعتراف بالحقائق الثابتة ، مهما كانت نتائجها ؛ غير أنه لا يتطلب الامتناع عن توجيه الأبحاث العلمية نحو الحقائق التي ينتظر الحصول على فائدة وطنية من وراء معرفتها .

هذا واتماماً لاستقراء الوقائع التاريخية ، يجب على أن أشير إلى بعض الحوادث التي تدل على حدوث شيء من المخالفة والمشادة بين رجال العلم ورجال الوطنية في بعض الأحوال : إن تاريخ الثورة الفرنسية يعطينا مثلاً بارزاً لذلك : فان رجال الثورة أعدموا « لافوازييه » Lavoisier الذي يعتبر مؤسس علم الكيمياء الحديث ، و « بايل » Bailly الذي اشتهر بأبحاث فلكية هامة ؛ وسجنوا « كوندوزيه » Condorcet الذي كان من كبار المفكرين ، فاضطروه الى الاتحار تخلصاً من المقصلة والعذاب ...

كما أن الانقلاب الألماني الأخير أعطانا مثلاً جديداً لذلك : فان الحكومة الوطنية ، طردت من البلاد عدداً غير قليل من العلماء ، وعلى رأسهم « إينشتاين » الشهير ...

غير أنه يجب علينا أن نلاحظ أن هذه الوقائع لا تدل على خصام بين العلم والوطنية ، من حيث الأساس . لأن العالم قلما يتفرغ إلى الأبحاث العلمية تفرغاً مطلقاً ، فانه لا يتجرد عادة عن الحياة الشخصية ، بل كثيراً ما يقوم ببعض الأعمال السياسية أيضاً ، كما أن تفكيراته لا تكون علمية في كل الموضوعات ، إذ أنه قد يفكر كما يفكر سائر الناس في المسائل التي تخرج عن نطاق اختصاصه ، ولا سيما في الأمور التي تدخل في ساحة الدعايات الحزبية والأعمال السياسية . فاذا ما تحدث مخالفة بينه وبين رجال السياسة الوطنية ، يكون قد حدث ذلك بالرغم من علمه لا بسبب علمه .

« الوطنية هي الأناية في المجموع ، غير أنها التضحية والايثار في الفرد ... »

نعم ان الوطنية هي التضحية والايثار - بالنسبة إلى أفراد البشر ، وإن كانت من قبيل الأناية بالنسبة إلى الكتل البشرية . ونستطيع أن نقول : انها أرق أشكال التضحية والايثار . فان مظاهر التضحية والايثار لا تتجلى في مجال من مجالات أعمال الانسان بالتنوع والسمو والقوة التي تتجلى بها في مجال الوطنية . وأما مظاهر الايثار التي تنشأ من الشعور الأسمى فإنها لا تذكر بجانب ذلك ...

اننى لأود أن أتوسع في هذه المسألة الآن غير أننى أود أن أختم هذه الرسالة بأحدى الكلمات التي قالها جان جاك روسو بأسلوبه الخلاب :

« بعض الناس يحبون أبناء الصين ، وذلك لكي يتخلصوا من الواجبات الفعلية التي يتطلبها منهم حب أبناء وطنهم الأقربين ، »

أبراهيم

(بغداد)

في الطريق

كتاب جديد يصدر في سبتمبر

بقلم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

أكثر من ٦٠ قصة في ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش ، الثمن بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع فاروق رقم ٢٢١ بمصر

الاشتراك بفعل في منتصف أغسطس

فان « لافوزيه ، مثلاً كان من النبلاء الذين يحملون لقب « الماركيز » فإنه كان من « الملتزمين » الذين كانوا يشتغلون بحماية الضرائب من الناس . فاذا ما اتهمه رجال الثورة الفرنسية - بحق أو بغير حق - بالخيانة للوطن ، وحاكموه فأعدموه ، انما كان ذلك من جراء صفاته وأعماله هذه ، لا من جراء أبحاثه وآرائه العلمية .

وكذلك الأمر في « إينشتاين » : فان أبحاثه العلمية ونظرياته الفلسفية لم تجرده عن النزعات الطائفية ولم تبعده عن الأعمال السياسية . فاذا وجد رجال الحكومة الوطنية الألمانية - بحق أو بغير حق - في سلوكه وسلوك طائفته ما يضر بسلامة الوطن ، كان ذلك من جراء أعماله وأعمال طائفته السياسية ، لا من جراء أبحاثه وآرائه العلمية .

وربما كان من المفيد أن نذكر رأي بعض العلماء لايضاح هذا البحث أكثر مما تقدم . وربما كان رأي « باستور » الشهير من أبلغ الشهادات في هذا الباب :

إن هذا العالم الذي يعتبر بحق من العلماء الذين انتظمهم الروح العلمي بأكمل معانيه ، والذي قام بسلسلة أبحاث تعد بحق من أبرز وأنجح الأمثلة للطريقة التجريبية ... هذا العالم الكبير كان وطنياً منحمساً طول حياته ؛ وقد قال في خطبة بليغة ألقاها في أحد المؤتمرات الأئمة :

« لا وطن للعلم أرباً الأخرى ، وطن العلم يشمل العالم بأكمله ومع هذا لكل عالم وطن وعلى كل عالم أن يهتم بكل ما يخدم مجد وطنه ففي كل عالم حقيق كبير تجدون دائماً وطنياً كبيراً ، »

والآن بعد الانتهاء من هذه المناقشة ، اسمحوا لي أن أعود إلى إحدى القضايا التي كنت سلت بها جدلاً ، وهي أولى القضايا الثلاث التي سقمتوها للبرهنة على عدم امكان اتفاق العلم والوطنية :

« الوطنية هي الأناية في المجموع ، »

إننى لا أنكر صحة هذه القضية من حيث الأساس . غير أننى أرى من الضروري أن تتبعها بقضية ثانية فنقول :

في التاريخ السياسي :

الحرب الأهلية الإسبانية

وخطرهما على السلام

بقلم باحث دبلوماسي كبير

حينما اضطرت الحرب الأهلية الإسبانية في أواخر يولية الماضي ، لمخاضها منذ البداية عوامل معركة دولية خطيرة وكنا يومئذ نتلمس القرائن والإدلة لتأييد هذا الرأي ، لأن العوامل الدولية التي كانت وراء هذه المأساة لم تكن قد وضحت بعد بصورة جلية ، بيد أنه لم تمض عدة أسابيع على ذلك ، حتى تكشفنا هذه العوامل واضحة ، وحتى بدأ أصبح إيطاليا وألمانيا ظاهراً وراء الثورة الإسبانية يذكي ضرامها ويمدها بكل صنوف المعاونة العسكرية والسياسية ، وحتى بدت روسيا السوفيتية في جهة أخرى وراء الجبهة الجمهورية الإسبانية تؤيدها بكل ما وسعت وتمدها بالأسلحة والذخائر والفنيين ، وحتى بدت انكلترا وفرنسا أيضاً من وراء الجبهة الجمهورية تمدها بعونها السياسي والأدبي . وآثرت انكلترا وفرنسا الأخذ بسياسة عدم التدخل في المشكلة الإسبانية ونجحنا في حل الدول الأخرى أعني إيطاليا وألمانيا وروسيا والبرتغال على إقرار هذه السياسة ، وتألفت لجنة عدم التدخل الدولية في لندن . وبينما كانت هذه اللجنة تسير في مباحثها وقراراتها يبطئ وتسويف ظاهرين كانت المعركة الدولية في إسبانيا تتفاقم يوماً بعد يوم ويتوالى نزول القوات الإيطالية والألمانية في الثغور الإسبانية لتشد أزر الجبهة الثورية ، وتتوالى الامدادات الروسية لتشد أزر الجبهة الجمهورية ويتسع تدخل إيطاليا وألمانيا في إسبانيا نفسها ، وفي جزر البليار ومراكش الإسبانية بشكل يزعج فرنسا وانكلترا . عندئذ خطت السياسة البريطانية خطوة أخرى واستطاعت بعد مفاوضات ومباحثات طويلة أن تحفل الدول الممثلة في لجنة عدم التدخل على إقرار مشروع دولي

لرقابة الشواطئ والحدود الإسبانية وذلك لمنع الامدادات الأجنبية عن الفريقين المتحاربين ، وتطبيق سياسة عدم التدخل بطريقة فعلية ، وترك المشكلة الإسبانية يحلها الشعب الإسباني وحده ، وبذلك تحصر الحرب في إسبانيا ، ويحمى السلام الدولي من عواقبها .

ونفذ مشروع الرقابة الدولية منذ عدة أسابيع . واشتركت فيه انكلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا والبرتغال ، وحصرت الشواطئ والحدود الإسبانية على يد السفن الدولية والمراقبين الدوليين . ولكن الواقع أن إيطاليا وألمانيا كانتا قد بعثتا إلى إسبانيا قبل تنفيذ مشروع الرقابة من القوات العسكرية والجوية لمعاونة الجنرال فرانكو زعيم الثورة الإسبانية ما اعتقدتا أنه كاف لاحتراز الجبهة الثائرة النصر النهائي على الجمهوريين وإقامة الحكم الفاشستي المنشود في إسبانيا على أنقاض الحكم الجمهوري ، بل ظهر أن إيطاليا وألمانيا لم تكفيا عن إرسال الامداد حتى بعد أن نفذ مشروع الرقابة ، على أن الرقابة الدولية أفادت في تضيق نطاق المعاونات الخارجية ، وحصرت احتمالات الحرب الأهلية نوعاً .

وفي أثناء ذلك حاولت السياسة البريطانية أن تتقدم خطوة جديدة في تصفية المشكلة الإسبانية ، فقدمت إلى الدول اقترانها بسحب جميع الجنود الأجانب من إسبانيا سواء منهم من يحارب مع الجنرال فرانكو أو مع حكومة مدريد ؛ فرفضت إيطاليا النظر في الاقتراح ، وأجابت الصحف الإيطالية بأن الجنود الإيطالية لن تغادر إسبانيا قبل أن يحرز الجنرال فرانكو النصر النهائي . والمعروف المحقق أن لا إيطاليا في إسبانيا جيشاً لا يقل عن مائة وعشرين ألف مقاتل ، هذا عدا القوات الألمانية وهي تقدر بنحو ثلاثين ألفاً ، وهذه القوى الأجنبية هي عصب الثورة الإسبانية وهي سند الجنرال فرانكو ؛ وقد أبدت ألمانيا وإيطاليا في غير فرصة سواء في التصريحات الرسمية أو عن طريق الصحافة أنها لن تدخر وسعاً في تأييد الجنرال فرانكو حتى يحرز النصر النهائي ، وحتى تقوم في مدريد حكومة فاشستية ، ولم يبق ريب بعد أن الثورة الإسبانية إنما

وان كان في الانباء الأخيرة ما يدل على أن بلباو قد
لاستطيع المقاومة طويلا

ooo

قلنا إن الفاشستية الإيطالية تزعم أنها لن تتخلى عن الجنرال
فرانكو حتى يحرز النصر النهائي، وتزعم إيطاليا وألمانيا معاً
أهما لن تسمحا، بأقامة حكومة بلشفية في اسبانيا تهدد سلام
غرب أوروبا؛ وهما تصفان حكومة اسبانيا الجمهورية بالحكومة
البلشفية لأنها تستمد العون من حكومة موسكو، وتلك دعاية
معرضة كما أسلفنا في فرص سابقة، فالجبهة الاسبانية الجمهورية
هي جبهة الشعب الاسباني التي تحاول الفاشستية تحطيمها على
يد الجنرال فرانكو، وإذا كان في الجبهة الجمهورية عنصر
شيوعي فهو أقلية سياسية، كما هو الشأن في معظم الدول
الديموقراطية؛ وإذا كانت الجبهة الجمهورية تعتمد على مؤازرة
روسيا السوفيتية، فلأنها الدولة الوحيدة التي سارعت لتجديتها
في محتها، ولأن روسيا ليست لها مطامع استعمارية في اسبانيا
بل يحدها إلى هذا العون معركة المبادئ والمثل، فهي في
اسبانيا تضرب الفاشستية ألد وأخطر خصومها على أنه إذا
كانت الفاشستية تزعم أنها لن تتخلى عن فرانكو حتى يحرز
النصر النهائي، فإن السياسة البريطانية من جهة أخرى تبدي
صراحة أنها لن تسمح باتهاك استقلال اسبانيا أو الاعتداء
على سلامة أراضيها؛ وهذا ما صرح به أخيراً مستر أيدن
وزير الخارجية البريطانية في مجلس العموم، ومعنى ذلك أن
بريطانيا لن تسمح بفوز الجنرال فرانكو، لأن هذا الفوز
الذي تدعّمه الحراب الأجنبية يعقبه تحقيق بعض المطامع
الإيطالية في جزر البليار وربما في مراكز الاسبانية؛ وانكلترا
مع تمسكها بسياسة الحيطة وعدم التدخل في المسألة الاسبانية،
لا تخفى عطفها على حكومة بلنسية، وفي ذلك تؤازرها فرنسا
بل ربما ذهبت فرنسا إلى أكثر من هذا العطف في معاونة
الجبهة الجمهورية، وإذا كانت انكلترا وفرنسا تقفان في الميدان
الدولي إلى جانب اسبانيا الجمهورية، فإن ذلك لا يرجع إلى
لونهما الديموقراطي ولا إلى معركة المبادئ فقط، بل يرجع

هي محاولة عسكرية فاشستية تدبرها الفاشستية الإيطالية
والألمانية، وأن الجنرال فرانكو إنما هو أداة هذه السياسة
الأجنبية؛ فالثورة الاسبانية تفقد بذلك كثيراً من صبغتها
الوطنية، وتفقد عطف الديموقراطية، والعالم المتعدن الذي
يعرف وسائل الفاشستية وأساليبها الممجية وجنوحها إلى
العنف والعدوان، ويقدر خطرهما على السلام العام

ولكن هل تنجح الفاشستية في هذه المحاولة الدموية؟
لقد مضى على الثورة الاسبانية التي دبرتها الفاشستية وسلحتها
أحد عشر شهراً، واستطاع الجنرال فرانكو بمؤازرة معاونه
الأجانب أن يستولوا على نصف الأراضي الاسبانية؛ ولكنه
لم يحرز حتى اليوم أي نصر حاسم، بل فشل في كل محاولة
خطيرة قام بها لتحطيم قوى الجمهورية، وكان مقدراً أن الثورة
لن تستغرق في تنفيذ برنامجها أكثر من عدة أسابيع، ولكن
مضت الأسابيع والأشهر، وتحطم هجوم الجنرال فرانكو
على مدريد ولقي الثوار أكثر من هزيمة شديدة أمام العاصمة
ومزقت الوحدات الإيطالية في وادي الحجارة شر ممزق؛
وعندئذ فكر الحلفاء في مهاجمة ناحية أخرى من الجبهة
الجمهورية، فنظم فرانكو هجومه على بلاد الباسك منذ أكثر
من شهرين، وحاول أن يطوقها من البر والبحر؛ ولكن
قوات الباسك خيبت آمال المهاجمين، وردتهم غير مرة، وانتقم
فرانكو وحلفاؤه من الجمهورية الصغيرة الباسلة بتخريب
بلادها وضياعها، وأحرق الطيارون الألمان المدن والقرى
الباسكية من الجو بطريقة وندالية أثارت سخط العالم المتعدن
وكان فرانكو يقدر أنه بحصار بلباو من البحر يمهّد لافتتاحها
بسرعة وأنه كما حدث من الهجوم على مالطة يستطيع الاعتماد
على معاونة الغواصات الإيطالية، ولكن انجلترا التي خشيت
على مصالحها ومناجها العظيمة في هذه المنطقة بعثت بوارجها
الكبرى إلى مياه بلباو، وأنكرت حق حكومة فرانكو في
محاصرتها وخرقت السفن الانكليزية الحصار وأمدت المدينة
المحصورة بالأطعمة، وعاونت على إخلائها من غير المحاربين؛
وما زالت قوات الباسك تصمد للمهاجمين وتكبدهم أفدح الخسائر،

بالأخص إلى خوفهما من غلة الفاشستية في أسبانيا، وما تهدد به مصالحهما الاستعمارية ومواصلتهما في غرب البحر الأبيض المتوسط.

ومن جهة أخرى فإن انكلترا وفرنسا تخشيان على مصير السلام من تفاقم الحوادث الإسبانية. ولقد تجلّى هذا الحرص على السلام في حادث البارجة الألمانية دويتشلاند، فقد ألقت طائرات حكومة بلنسية القنابل على هذه البارجة أثناء رسوها في ميناء أليزا بجزيرة ميورقة فقتلت من بحارتها خمسة وعشرين وجرح عدد آخر؛ واثارت ألمانيا لهذا الاعتداء فلم يمض يومان حتى ضربت بوارجها ثغر المرية الأسباني على حين فجأة ضرباً شديداً فقتلت وجرحت من أهلها المسلمين مئات وخربت قسماً كبيراً منها؛ وعلى أثر ذلك أعلنت ألمانيا وإيطاليا انسحابهما من لجنة عدم التدخل حتى توضع الضمانات الكفيلة بحماية بوارجهما؛ وكان لهذا الاعتداء الذي يشبه أعمال القرصنة من جانب البوارج الألمانية وقع عميق في الأوساط الدولية، لأنه حتى مع التسليم بأن ألمانيا قد اعتدى عليها في حادث البارجة دويتشلاند، فإنها لم تقدم بطلب الترضية الودية ولم تقدم إلى حكومة بلنسية إنذاراً بها كما يقضى بذلك القانون الدولي، ولم يسبق في قانون الأمم أن اعترف بحق الانتقام من المدن الآمنة دون أن تكون هناك حرب شرعية بين الخصوم. خصوصاً إذا وقع الانتقام على النساء والأطفال كما حدث في ضرب المرية. ومن الغريب أن تفرد ألمانيا بمثل هذا التصرف لاعتداء وقع على إحدى سفنها تبرره حكومة بلنسية بوجود هذه السفينة في إحدى الموانئ التي يد خصومها الوطنيين، مع أن مثل هذا الاعتداء قد وقع من قبل في أكثر من فرصة على السفن الانكليزية ولم تندفع في مثل هذا الانتقام الوحشي

على أن انجلترا رأت مع ذلك أن تتفادى عواقب هذا المشكل الخطر، وأن تعمل على رد ألمانيا وإيطاليا إلى لجنة عدم التدخل، فوضعت مشروعاً جديداً يقضى بتعيين مناطق

أمنية تستطيع السفن المشتركة في المراقبة أن تلجأ إليها ويحترمها الفريقان المتحاربان، ويعترف المشروع فوق ذلك بحق الدفاع الشرعي للسفن التي يعتدى عليها وقت الاعتداء فقط، ولكن الاجراءات اللاحقة تكون موضع بحث بين الدول، وتدل الأنباء الأخيرة على أن ألمانيا وإيطاليا قبلتا هذا المشروع، وقررنا العودة إلى لجنة عدم التدخل، وبذلك تكون السياسة الانكليزية قد استطاعت أن تتفادى عواقب هذا الاحتكاك الخطر بين ألمانيا وحكومة بلنسية.

على أن المأساة الإسبانية ما زالت مفعمة بالآخطار والمفاجآت. والخطر في هذه المأساة هي صيغتها الدولية، التي أشرنا إليها. فالصراع الدولي بين الجبهتين الاوربيتين الفاشستية والديموقراطية مازال قائماً، وإذا لم تبدل الدبلوماسية الأوربية جهوداً جديدة لإخراج القوات الأجنبية من أسبانيا، وترك أسبانيا تقرر مصيرها بيدها، فسوف تبقى المشكلة الإسبانية خطراً دائماً على السلم الأوربي.

علم التاريخ

أتمت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع الرسالة السابعة من خلاصة العلم الحديث وموضوعها علم التاريخ، وهي تبحث في التاريخ من حيث هو علم، وفي أغراضه وطرائقه وتاريخه من أقدم العصور وقوائمه وعلاقته بغيره من العلوم، وضمها بالانجليزية الأستاذ هرتشو وترجمها وعلق حواشيها وأضاف إليها فصلاً في التاريخ عند العرب.

ومن الكتاب ٨ قروش صاغ عدا أجرة البريد
ويطلب من دار اللجنة رقم ١٣ بشارع الكرداسي
ومن المكاتب الشهيرة

في الأدب المقارن

الحكمة

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ غفرى أبو السعود

القصص ما يجري على ألسنة الحيوان ، ويقوم الأسد فيها بدور السلطان ويلعب الثعلب دور المكر والاحتيايل ، ويمثل الذئب دور الغدر والافتئات ، وقد كان للأمم القديمة كالمصريين والفرس والهنود ، من كل هذه الضروب حظ وفير ، وفيها يبسط الحكماء المجربون لأبناء جلدتهم ثمار تجاربهم ، ويحضون على حسن المعاملة ويدعون إلى الفضيلة .

والشرق ، مهد المدنات القديمة والامبراطوريات العظيمة ، والملكيات المطلقة ذات الحول والآبهة والبذخ ، والموارد الواسعة والكنوز الطائلة ، هو مهد الحكمة ومطلع الحكماء والأنبياء ، فيه تتجلى طباع الأشياء على جهارتها ، ويتجاور البذخ المفرط والبؤس المرمر ، وتتابع السعود والنحوس ، وتتقلب الأيام والدولت وتعقب عصور الرخاء والازدهار عهود الشدائد والادبار ، ومن كل ذلك تستخلص عبر الحياة وعظائنها ، ويتجلى لذوى النفوس العالية غرورها وبهارجها ، وتنصرف همه الحكماء والفضلاء إلى هداية مواطنهم إلى سبيل الخير والسلامة وتلقينهم كيف يعيشون في أمن من جور الفاشمين وبطش الأقدار ويسعون جدهم لتخفيف ما حولهم من آثار البؤس والبلاء ، وإصلاح مايرون من أسباب القوضى والفساد ، وهكذا كان يظهر المصلحون والأنبياء بين اليهود والهنود وغيرهم من أمم الشرق ، بين الفترة والفترة .

وللحكمة الصادقة المصوغه في اللفظ البليغ المحكم مكانها في أدب كل لغة : ففي كل أدب ما لا يعد من الحكم المتواترة يقتبسها الأدباء في مواطنها ، وقد نسيت أسماء قائلها وضاعت نسبتها وصارت من تراث الأدب المشاع ، وفيه كذلك ما لا يعد من آثار الشعراء والكتاب التي أساسها الحكمة وقوامها خلاصات التجارب التي عركتهم ؛ وفي الأدبين العربي والانجليزي تراث حافل من الحكم والأمثال ، وفي كل منهما أدباء اشتهروا خاصة بصوغ الحكم وجرت آثارهم على الأفلام والأقواء ، لما تمتاز به من صدق النظرة وشمول الفكرة وإيجاز اللفظ .

ففي الانجليزية اشتهر شكسبير أولاً وبوب ثانياً بروائع حكمهما . وسارت كثير من آياتهما مسير الأمثال ، لما امتاز به كلاهما من التمكن من اللغة وبلاغة الأداء ووجازة التعبير ، رغم اختلافهما فيما عدا ذلك من نظرة إلى الحياة ومذهب في الفن ؛ وندر من كبار أدباء الانجليزية من لم يسر له مثل أو أكثر فيما توفر عليه من موضوع كالطبيعة والجمال والاجتماع والمرأة وهلم جرا ومن الانجيل سرت في اللغة الانجليزية المكتوبة والمتكلمة أمثال .

يولد المرء جاهلاً ثم لا تزال التجارب تبصره بمقائق الحياة ولا يزال الدهر يعلمه ويؤدبه ، ولا يزال هو يثاقب فكاهه ، يتعظ بماضيه وينتفع بمشاهداته ، ويصوغ من جزئيات التجارب التي يمر بها كليات يلخص فيها نواميس الحياة وطباع الأشياء ، التي يجدر بالعاقل أن يسايرها ويحتال لها ، لا أن يصادمها ويجري على غير سننها ، وتلك هي الحكم التي هي لباب التجارب وثمار المعرفة ، والتي يقتبط الأديب أي اغتباط حين يستخلص عصارتها من مرير الشدائد وعصيب الأزمان ، ويتجلى له ضياؤها بعد أن تنقشع غيوم المطامع وعواصف المخاوف ، ويتوارثها الناس جيلاً بعد جيل ، وتشكل مع اختلاف بيئاتهم وتقاليدهم ، ويشدو بها الصغار وهم ناشئون ولا يعرف صدقها إلا الكبار ، بعد أن يخوضوا أتون التجارب الذي ينضج النفوس

فالحكمة خلاصة التجربة العملية ، ولا تقرباً في الكتب ولا تؤخذ عن المؤدبين . ومن ثم يستوى فيها الخاصة المثقفون والعامه الأميون ، إذ كان كلاهما يستقي من معين الحياة المشهوده ؛ وتذيع بين العامة أمثال وحكم هي غاية في الصدق ونفاذ النظرة وبلاغة التعبير . وقد بطابق بعضها أمثال الخاصة والحكماء في كتبهم ؛ وتدل تلك الحكم السائرة بين الشعب على الكثير من أخلاقه وأعماله ، من سعى وتوان ، ووقار واستتار ، وامعان في الحروب واستراحة إلى السلم والدعة ، ومن ثم نرى كثيراً من الأمثال المتخلفة عن جيل الانحطاط الماضي ، رغم صدقها وعمقها مصروغة في أبداً لفظ وأخش صورة ، ونرى كثيراً منها يحث على الفناعة والتواكل والقعود .

ومن الحكم ما ترسل موجزة مستقلة كأنها القضايا المنطقية مبدوءة ببعض حروف الشرط أو أسماءه ، ومنها ما تصاغ في قصة بحكمة ذات مغزى ، ومن تلك القصص ما ينسب إلى حكم من الأقدمين كلفان ، أو إلى شخص خيالي مثل جحا الذي صاغ العامة خيوله قصصاً بالغة غاية الحكمة والمتعة والفكاهة ، ومن تلك

سمع دالة عمر بن أبي ربيعة التي يقول منها : « إنما العاجز من لا يستبد » ، فقال : « ما زال هذا الفتي يهذي حتى قال الشعر » ، فهو لم يحفل بكل ما قاله الفتي في التشبيب ، حتى ضرب على وتر الحكمة فاستثار إعجابه .

وأدب الجاهلية وصدر الاسلام حافل بتلك الحكم البليغة المشتعلة على تجارب قائلها من سادة القبائل وأشرافها ، الجامعة لظراتهم في الحياة وخطتهم وسننهم فيها ، وتمدحهم بما رسموه لأنفسهم من مناهج وما أخذوها به من فضائل ، وهذا الباب من أكرم أبواب الادب العربي وأدعاها إلى الإعجاب ، ومن أجله كان العرب في تلك المهود يغالون بالشعر وينشثون أبناءهم على هدايته ، وكانوا يسمون هذا الباب من الشعر بالادب ، لأن حفظ آثاره والتأمل بها يؤدبان النفس ويهذبان الخلق ، وذلك هو الاسم الذي أطلقه أبو تمام في حماسه على ذلك الضرب من القول الشامل للحكمة والتمدح بالفضيلة . وقد اتسع معنى هذا اللفظ فبعد أن كان اسم جزء صار اسم كل وأطلق على الشعر جميعه والنثر معاً . وليس شك في أن هذا التطور الطبيعي البسيط هو منشأ كلمة أدب اللغة ، وإن يكن بعض المستشرقين قد تخدلق وزعم أنها مقلوبة عن كلمة دأب ، فذلك من قبيل النظريات المحضنة التي لا تبلغ مبلغ اليقين أبداً ؛ وليست إلا من قبيل النظر الفلمي والتظاهر بالتعمق في البحث ، وإن لم يجد ذلك العلم قليلاً ، ولم يدرك يوماً منزلة الاقتناع .

كانت الحكمة من أظهر أبواب الادب في الجاهلية وصدر الاسلام ، وكان من أقطابها في الجاهلية من ذكر ، وفي الاسلام الامام علي والأحنف بن قيس وكثير من الصحابة ، وبظهور الاسلام ثم توحد الدولة زاد العرب كفاً بالحكمة وزاد الداعي إليها أهمية ، فقد جاء القرآن الكريم والحديث حافلين بروائع الحكم وجوامع الكلم ، التي أربت على الغاية من البلاغة والسمو ، وحشا على طلب الحكمة التي هي ضالة المؤمن ، وقد ظل الكتاب والحديث دائماً نموذج الأدباء ومستقاهم ؛ فلما فرضت الملكية المطلقة سلطتها كاملة ، وأخرست الأفواه وأسكتت النقد ، عادلة حيناً وجائرة أحياناً ، وجد الناس في الحكمة الشاملة المعممة سلوة للنفس المقهورة ، وعزاء عن المآرب المحظورة ، وثقيفاً عن المطامع المستورة ، واتقاء لشبهات السلطان ، فأجريت الأمثال والمواعظ على السنة السلف الصالح ، وملوك الأمم الغابرة وحكائمتها وفلاسفتها ، ووضع على أفواه الحيوان والارواح ، وأرسلت شعراً ونثراً ، وترجمت عن اللغات ، وكان من ذلك مترجمات ابن المقفع .

وحكم عديدة ، لا تزال تحمل طابعها الاسرائيلي وتدل باسماء أعلامها ومواطنها على نشأتها الشرقية ؛ وسرت في الانجليزية كذلك أمثال عديدة من الاغريقية واللاتينية يترجمها الادباء إذا استعملوها وقد يثبتونها في لغتها الأصلية .

يبد أن ذلك هو كل ما هنالك ، والحكمة في الانجليزية نادرة إلى حد بعيد ، وهي لم تكن من مطلوب أدبائها ولا من هم شعرائها يتوخونها عمداً ويودعونها اللفظ البليغ الموجز ، ولم يكن الايجاز من دأبهم كما كان من دأب شعراء العربية وأدبائها في أحسن آثارها وأزهر عصورها ، فالأديب الانجليزي إذا أخذ في الكتابة أرسل لحياله العنان ، وأبرز فكرته الواحدة في شتى الصور متسلسلة مستتعة غيرها من الأفكار ، أما الأديب العربي فيؤثر الايجاز البليغ ويودع المعنى الواسع الشامل البيت الموجز أو العبارة المحكمة وينتج إلى غيره ، وهذا الايجاز المشهود في جيد الشعراء الجاهلي راجع بلا شك إلى أهمية العرب وحاجتهم إلى الاستغناء بالقول الجامع ، والاجتزاء بالحكمة الشاملة ، وقد تورثت هذه الخلة من خلال الادب الجاهلي فيما تلا ذلك من عصور الادب العربي كما تورث غيرها من خلال .

وما حجب العرب في جاهليتهم في الحكمة أخذهم بحياة الحل والترحال ، واشتغالهم أبداً بالقتال وإدراك الثارات : فتلك حياة شديدة كانت تتطلب كثيراً من العمل وقليلاً من الكلام المفيد مع قلته . وكان الانتفاع بالتجارب من أكبر أسباب النجاح فيها ، والاشتهار بالحكمة والدراية من صفات الشيوخ والرؤساء ؛ ومنهم كان كثير من لحول الشعر ورجال البيان ومصافح الخطباء كالأنوف الأودى وأكثم بن صيفي وقس بن ساعدة الأيادي . ومن ثم أثر عن الجاهليين ما لا يعد من روائع الحكم نظماً ونثراً . ومن أمثلتها خطبة قس بن ساعدة وحكم زهير بن أبي سلمى في مغلته . وقد أعجب المتأخرون من الشعراء والأدباء بهاتيك الحكم أيما إعجاب ، وشمروا عن ساعد الجد للآتيان بأمثالها ، وعدوها بحك قدرة الشاعر وبرهان الشاعر الصادقة ، وكاد يلهمهم الاستداد في طلبها عن ابتكار شيء جديد في الشعر .

وكان العرب في الجاهلية لا يعدون الشاعر خلا حتى ينطق بالحكمة ، فما لم يأت بشيء منها فهو بعد غر لم ينضج تنور التجارب ولم تنكشف له حقائق الحياة ؛ وظل الأعشى فيما قبل مزوياً عن مرتبة الفحول ، رغم ضربه بسهم في مجالات المدح والهجوم والاعتذار ووصف الخمر ، حتى قال في مدحه سلامة ذو قاتش : « والشئ حينئذ جمل » فرفعت هذه الجملة الموحدة إلى مصاف النابغة وامرئ القيس . وتروى حكايات كهذه عن شعراء الاسلام : فقد قيل إن جريراً

من كلام المتقدمين أكثر ذبوعا في العربية منه في الانجليزية ، والحكمة مادة جانب عظيم من كتب الأدب التي تحفل بما أثر عن الحكماء والخلفاء والفقهاء من جوامع الكلم ، وهي موضوع مطولات كثيرة كمقصورة ابن دريد ولامية ابن الوردى وأرجوزة صاحب كتاب الصادح والباغم ، وبها تمتلئ الخطب المنسوبة إلى وفود العرب إلى كسرى وإلى أهل بيت المهدي عند مشاورته لهم في حرب خراسان . وقد ألع الكتاب بنثر حكم الشعراء في رسائلهم مسجوعة منمقة ، كما ألع الشعراء بنظم الحكم السائرة وأمثال العامة ، وكان الشعراء أكثر لجوا إلى نظم الحكم وسرد العبر والاستشهاد بعظات التاريخ خاصة في قصائد الرثاء ورسائل التعزية وأشعار الشكوى والوجدانيات ؛ وكثيرا ما كانت إتساق الحكم في هيئة فصائح . ويقول ابن عبد القدوس : والنصح أغلى ما يباع ويوهب ، ومن شعر النصيحة جيمية محمد ابن بشير التي يقول منها :

قدم لرجلك قبل الخطوموضعها فن علا زلفا عن غرة زلجا
أما الموضعات التي طرقتها الحكمة في الأدب العربي فلا تحصر ، فقد جالت في شتى نواحي الحياة : من غرور الدنيا وتقلبها ووجوب الحذر منها وتوقع زوالها ، إلى مزايا الشدائد وامتحناتها للرجال ، إلى نذرة الصديق الصدوق ، ومن شؤون الحياة اليومية إلى سياسة الدول وحكم الشعوب ، ومن آداب الحوار إلى آداب مصاحبة السلطان ؛ وكان بعض الشعراء يتوفرون على ضروب دون غيرها من الحكمة ، حسب ما توجههم اليه يثانهم ونفسياتهم ؛ فأبو العتاهية كان دائم الذكر للذات ، والمتنبي كان يشتق حكمه من حياة التناحر والمطامع والمعارك الأدبية والسياسية التي كان يحياها ، والمعري كان يستقي حكمته ويستخرج عبره من ظواهر الكون التي كان دائم الاشتغال بها ، فهذان البيتان من نظمه يحملان طابع تفكيره ولا يمكن أن ينسبا إلى سواء :

يقادر غابة الضرعام كيا ينزع ظي رمل في كناس
سجيا كلها فصدر ولؤم توارثها أناس عن أناس
فكثير من الظروف التي أحاطت بالأدب العربي في الجاهلية والإسلام كانت تدعو إلى انتشار آثار الحكمة فيه ، لجام حافلا بها مشروبه ومنظومه على متعدد الصور ومختلف الأوضاع ، ومثل هاتيك الظروف لم تصاحب الأدب الانجليزي ، ومن ثم كانت الحكمة فيه أندر كثيرا ، فلا البداوة ولا الملكية المطلقة ولا رد الفعل المنعكس من الترف المفرط ، ولا الروح الدني المتغفل في المجتمع ، لم يؤثر شيء من ذلك في الانجليزية تأثيره في العربية ولم يقتصر الانجليز على دراسة الفلسفة الاغريقية بل درسوا معها

وكانت الصبغة الدينية التي لازمت توطد الدولة الاسلامية وتطور المجتمع الاسلامي ، داعيا آخر إلى انتشار الحكمة في الادب ، وفي الحكمة كتب ونظم كثير من رجال الدين ، ومن آثار الحكمة التي مبعثها الشعور الديني اشعار أبي العتاهية وابن عبد القدوس والامام الشافعي ، ومما زاد هذه النزعة الدينية احتدادا ، وهذه الحكم الدينية ذبوعا ، ما كان يجاورها من مظالم الترف المفرق وآثار اللذات والمفاسد ، فكانت تلك رد فعل لهذه ، وكان من الشعراء المفرقين في المجون والتبذل كآبي نواس وبشار ، من تعاودهم رجعات من التبصر في الحياة وغرورها ، حين تسلمهم اللذات ويرهقهم بشمها وخمارها ، فيرسلون في أشعارهم من الحكم ما قد ينسب إلى أزهد الزهاد وأحكم الحكماء . ويدخل الأدب العربي طوره الفني طلب الشعراء البراعة والتفنن بصوغ الحكم وضرب الأمثال محاكاة للأقدمين وتوليدا من معانيهم ، وكانوا يشفعون الحكمة الانسانية أحيانا بمصادقها من عالم الطبيعة والحيوان والجماد ، فإذا أرسل أبو تمام حكمة في ظهور فضل المحسود على يد الحاسد ضرب لذلك مثلا اشتعال النار فيما جاورت وإعلانها بذلك طيب عرف العود ، ويقول في موضع آخر متزعا مصداق كلامه من ظواهر الطبيعة :
ولإذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيكون بدرا كاملا
ويقول غيره :

يعيش المرء ما استجيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء
واشتغل المسلمون بدراسة الفلسفة اليونانية دون الأدب اليوناني ، فتأثر أدباؤهم بتلك الدراسة ، وازداد ولعهم بالحكمة ، واتخذت حكمتهم صبغة فلسفية أقرب إلى القضايا المنطقية وأشبه بالاستقراء العلمي ، وذلك واضح في أشعار المتنبي والمعري اللذين انحرفا بذلك بعض الانحراف عن الأسلوب العربي الأصيل ، الذي يمتاز بالبلاغة والوضوح والاطلاق ، وبلغ من تأثر شعر الحكمة في العربية بروح الفلسفة اليونانية ، أن أبا علي الحائمي وضع رسالة يرد فيها أكثر حكم المتنبي إلى كلام أرسطو . وفي شعر المتنبي بلغت الحكمة العربية أوج رقيها ، أو بالأحرى بلغ الشعر العربي ذروة عظمتها ، وبلغ من احتفاء الشعراء بتضمين الحكمة أشعارهم أن قبل في الموازنة بين أبي تمام والمتنبي والبحترى إن الأولين حكيمان ، والشاعر البحترى ، لكثرة ما في شعرهما من الحكم ، وأبو تمام هو القائل في ذلك الضرب من الشعر :

يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة ويقضى بما يقضى به وهو ظالم
ولولا خلل سنن الشعر ما درى بغاة العلامن أين توثى المكارم
فالولع بالحكمة ظاهر في الأدب العربي : فاقباس المأثور

البطولة وهل ندرت؟

للأستاذ فتحي رضوان

يجوز لي أن أدخل في المناقشة التي أدارها الكاتبان
و النابغان ، عباس العقاد وأحمد أمين حول النبوغ والبطولة ...
يجوز لي أن أدخل في هذه المناقشة خصماً ثالثاً ، وإن كنت
أكره لفظة « خصم » ، ولكن ما حيلتي وقد علمتها القانون ... !
لقد طالعت مقال الكاتب النابغ ، أحمد أمين ، وأدركت
نظريته التي بناها على أن النبوغ هو سبق النابغ لمعاصريه ،
حتى ليعجزوا عن اللحاق به ، إلا بعد زمن قد يطول ، وذلك
حين يكون النبوغ عالياً ورفيعاً ، وقد يقصر ، وذلك حين
لا يكون النابغ ممتازاً إلا بقدر ...

الأدب الاغريقي ، وعنه تلقوا رسالته وهي الجمال ، فصارت هذه
رسالة الأدب الانجليزي أيضاً ، فكان الأدب الانجليزي يتوخى
الجمال فيما يشاهد ويحس ويكتب ، في حين كانت الحكمة والعبرة
والموعظة قلة الأدب العربي في كل ذلك ، ومن الأدب الاغريقي
تعلم الأدب الانجليزي أيضاً أن يطلق لفكره العنان ويفسح
ليانه المجال ، على حين ظل رائد الأدب العربي بلاغة الایجاز ،
وكبح جمحات الخيال .

ومن ثم تمثل خير ما في الأدب العربي في حكم الشعراء
والخطباء والكتاب ، وجوامع كلمهم وموجز يانهم ، وتمثل خير
ما في الأدب الانجليزي في سبحات الخيال المطلق المطبوع ، من
درامات وملاحم وقصص ، فالعيب الاجتماعي أو النقص السياسي
الذي كان يراه الأدب العربي ، فتحمله الظروف سالفة الذكر على
أن يصوغه حكمة موجزة تأمة لا تثير رية السلطان ، كان يحرك
حواله الأدب الانجليزي في قصة اجتماعية رحية الجوانب تشخيص
موضع الداء تشخيصاً ؛ وتعين الدواء ، ويتجلى الفرق بين الأدبيين في
هذا الصدد في نوع عبقرية شاعرهما الفذين : فقد بلغت العبقرية
الشعرية الانجليزية ذروتها في آثار شكسبير صاحب الدرامات
العجاجة بالخيال المطلق ، وبلغت العبقرية الشعرية العربية أوجها
في قصيد المتنبي الخافل بالحكمة البليغة

فقرى أبو السعود

ولقد ساقته هذه النظرية إلى نتيجة ، آمن بها ، ودافع عنها ،
وضرب الأمثلة العديدة على صحتها وسلامتها . والنتيجة هي التي
استوقفتني ، فدفعني إلى التأمل فيما جاء بهذا المقال ، ثم هي
التي حفزتني على كتابة هذا الرد . فالأستاذ أحمد أمين يرى أن
نوايغ هذا العصر قلة ، لأن أساليب التربية الحديثة ، ونظام
المجتمع الذي نعيش في ظله أشاع العلم ، وأضعف الفوارق
بين الخاصة والعامة ، وأتاح فرصة التحصيل والتفوق للفقراء
وذوي الثراء . وقد بلغ اقتناع الأستاذ أحمد أمين بهذه
النظرية وبتبنيها مبلغاً حمله على أن يضرب لنا الأمثال
بالتلميذ في المدارس الثانوية ، فهو ينظر إليه ، كل يوم ، فيراه
يطالع كتب الطبيعة التي تشرح قواعد الضوء والصوت ،
والحرارة والكهرباء ، فيقول : « إنه يعرف ما يعرفه نيوتن ،
وأكثر مما يعرفه » ، ثم يراه يقرأ كتب النحو والصرف ،
والبلاغة فيقوى يقينه بأن ما وصل إليه من نتيجة صحيح
جداً فيقول : « إنه يدري من النحو ، ما لا يدريه سيوريه »

ثم يطمئن إلى هذا الاستقراء فيقول لنا إذا كان محصول
علمه يفوق علم جهابذة العلوم والآداب ، وهو بعد تلميذ
في المدارس ، يخطئ ويصيب ، وينجح ويتعرض للسقوط ،
ويذاكر ويشكو قسوة الامتحان ، فكيف تظنون أن عهد
النبوغ لم ينصرم بعد ؟ . وأين مجال التفوق أمام الموهوبين
وذوي الجهد ما دامت المدارس قد ذلت المعرفة وفتحت
أبوابها على المصاريح ؟

قد كان التفوق والنبوغ بالأمس ممكناً ، لأن النابغة كان
مبصر أو وسط عي ، وصاحباً وسط مغفلين ومدركاين جهال .
أما اليوم فأصغر علماء الطبيعة كأبرهم . يعرفان من أمر
هذا العلم وقواعده قدرأ يكاد يكون مساوياً ، فإذا وجد
الفارق بين العالم الصغير والعالم الكبير فليس هو بالفارق
الذي يضفي على الكبير منهما صفة النبوغ والتفوق ...

وقد سألتنا الأستاذ أحمد أمين أن ندله على السياسي
الذي يفوق أقرانه ويذهب ، وقد نبهنا إلى استنارة الشعوب
وبصرها الآن بأساليب الحكم وفقها لطرائق الإدارة ؛ ثم
سألنا أن ندله على العالم الذي يسبق جيله أو معاصريه ، ونهنا
إلى أن العلوم اليوم والفنون كذلك قائمة على ستة التخصص ..

وأفهمنا أنه لا يوجد طبيب ، وإنما يوجد اختصاصيون في كل فرع من فروع الطب ، ولا يوجد قانونيون ، بل مطبقون لناحية واحدة من نواحي القانون ...

والحق أننا نشكر للأستاذ هذا التنبيه ، لأننا نستطيع بعده أن ندله على النابغين المتفوقين الذين يسبقون معاصريهم بالسنين ويفوتونهم بالمرحلة . فالتاريخ لم يعرف حاكماً كموسوليني ينبعث من خنادق الحرب ، ثم يشغل سنين معدودة في الصحافة ، ثم تدين له الدولة والأمة بالطاعة والانصياع . ويصبح البون بينه وبين أكبر رجال أمته شاسعاً ، حتى لا يكاد يوجد في إيطاليا إلا موسوليني ، الكلمة كلمته ، وكلته قانون ، وقانونه مقدس أسمى من أن يشوبه خطأ ، ثم تحالف عليه الدول وتطوق بلاده بحصار لا يرحم ، فيجرح شجاعته ، ويواجه العاصفة بسيل من الخطب ودنيا من التدابير ... فالتخصص ومجانبة المدارس وتذليل أساليب التحصيل ، كلها لم تحل دون بروز شخصية سياسية طاغية في إيطاليا . وهذا البروز ، هو التبرغ على الأقل كما وضح لنا الأستاذ أحمد أمين مقياسه - ولكن الأستاذ يريد أن ندله على نوابغ كثيرين وإلا كان محققاً فيما ذهب إليه من أن العصر الحديث لا يعتبر عصر النوابغ ، بل عصر ارتقاء الجماعة الإنسانية ارتقاء لا يسمح بإيجاد الفوارق الواسعة بين العامة والخاصة ، وبين الكبار والصغار . ولكن حسب الأستاذ الكبير أن يدبر بصره في العالم بأسره ليعلم أننا نعيش في عصر النابغين فألمانيا يحكمها رجل واحد يتصرف في أمورها كما يحلو له . أو على الأقل كما يحلو له ومستشاروه الذين من حوله .

وروسيا ، على رأسها رجل يضع دستوراً ، وينفذ قانونها ويشرف على جيشها ، والذين من حوله أقزام ينظرون إليه ولا يقوون على مقاومة إرادته ... وعلى الأستاذ الكبير أن يسأل من اليوم صاحب النفوذ الذي لا يجد في تركيا ، وفي بولندا - قبل وفات سلسودسكي - وفي النمسا وفي تشكوسلوفاكيا في عهد مازاريك ليعرف أننا محكومون بالنابغين والمتفوقين في عالم السياسة ولیدرك أن بصر الشعوب بأساليب الحكم ، وفطنتها الدستورية ، لم تحل دون ظهور هذه

الكثرة من ذوى السلطان المطلق ..

فاذا رجعنا إلى التاريخ القديم ، وجدنا أن روما التي احتملت موسوليني أربع عشرة سنة متوالية ، لم تستطع أن تحمل يوليوس قيصر مثل هذه المدة .

قد يعترض الأستاذ فيقول : ولكن من قال عن هؤلاء الحكام نابغون ؟ وهو لا يجزئني بهذا السؤال . لأنه هو الذي ضرب لنا المثل ، بنابليون ، ولا أحسب أن نابليون من حيث معدن العظمة يذو واحداً من هؤلاء الذين ذكرت أسمائهم فاذا أدركنا وجهنا إلى ميدان العلوم والفنون الفينا ميدان العاقلة والأقزام ، ميدان الذين تلامس هاماتهم السماء والذين تلاصق أسمائهم التراب . على الرغم من أن هؤلاء وأولئك ، حصلوا على نصيب واحد من العلم المدرسي . فالأستاذ أحمد أمين يصيب كثيراً من العناء إذا هو أراد أن يجد قريباً لرجل ككارل ماركس ألف كتاباً قتل هذا الكتاب عروشاً ، وأزال دولاً ، وقلب وجه التاريخ ، ورجل كداروين لا يشابه في ميدان الطبيعة أكثر الذين حوله ، ولا نستطيع أن نقول إن كارل ماركس هو وحده النابغة في ميدان الاقتصاد . ولا أن داروين هو وحده المتفوق في ميدان الطبيعة ، فالي جانب ماركس برودون وبلاخانوف ويوخارين وغيرهم وغيرهم ممن كانوا إلى جانب طلاب الاقتصاد وأساتذته وكتابه والمستغلين به نوابغ بل عباقرة . وفي الأدب يكتب الآن الكثيرون ، والمطابع لاتنفك تخرج المؤلفات والمصنفات ، ولكن ألا يوجد الكاتب الذي تساوى كلمته في حساب المادة عشرات الجنيهات ، والكاتب الذي لا تساوى كتبه شروى نقيير ... ثم ألا يوجد الكاتب الذي تفعل بدائعه في النفوس وفي الشعوب فعلاً تارة يدفع بها إلى العنف ، وأخرى يميل بها إلى الرضا ... فكثرة الكتاب في أوروبا وفي العالم ، وكثرة الموسيقيين وكثرة الاقتصاديين لم تحل دون النابغين ، ولكن الأستاذ أحمد أمين يريد أن يرى هؤلاء النوابغ ، ويريد أن يسألنا عن الفرق الكبير بين كاتب إنجليزي وكاتب إنجليزي آخر ... والحق أننا لا نتعب كثيراً في أن ندله عليهم ، لا بذكر الأسماء بل بوضع قاعدة تغير الموقف .

على هامس رماني الى الجوار

ليلة في مكة

بقلم الدكتور عبد الكريم جرمانوس
أستاذ التاريخ الشرقي بجامعة بودابست

أخذ النسق يهبط بسرعة في وادي مكة الضيق، المشبع بهواء الصحراء الجاف؛ وهنا بدأت خيوط الأصيل الذهبية تتلاشى ثم تختفي دفعة واحدة كأن ستاراً أسدل عليها بغثة؛ وبعد فترة وجيزة أخذ الليل ينشر خيمته السوداء فنسينا حينذاك ذكريات الغروب الجميلة وأصبحت لدينا كالم سافر بعيد، ثم خيم السكون وشمل المدينة كلها.

وكنت أشاهد منظر غروب الشمس من إحدى نوافذ بيتي الصغير في مكة. ولم ير الديك الذي كان بصيحه طيلة النهار داعياً لا يقف صياحه، كأن عظمة هذا الغروب لم تؤثر في نفسه، ولكن الدجاج لا ذات بالصمت وراحت تنساق أقفاصها استعداداً للنوم.

وكان يقع في طرف فناء البيت الصغير الذي أعد لضيافتنا قسم خاص بالحريم تجلس في إحدى غرفه سيدة وقور اسمها سنية، تقرأ القرآن على ضوء مصباح خافت اللون، على حين كانت ابنتها فاطمة النحيلة الحصر منصرفة إلى أعداد طعام العشاء لارساله إلينا مع إحدى العجائز. وحتى هذه العجوز الشمطاء كانت تتخذ كل الحيلة عند احضارها الطعام بحيث لا يظهر وجهها، وكانت تحمل الصينية على يديها ثم تدفعها بحذر على عتبة الغرفة وتنسل راجعة، فأقوم بدوري لأخذ الصينية بمجرد وضعها على العتبة. أما الطعام فهو لا يخلو عادة من الأصناف العربية المشبعة بالتوابل

كانت هذه العجوز تحاول كما قلت أن تمنعني من رؤية وجهها، ولقد أفلحت في ذلك إلى حد كبير، فلم أر منها إلا ذلك الهيكل العظمي، ولم أسمع من حركتها إلا صوت ذلك القبقاب الخشبي الذي كنت أسمع طقطقته على الدرج

فالأستاذ لا يرى موسيقياً كالموصلى ولا كتهوفن. ولا شاعراً كشكسبير، ولا كالمتنبي. ولا كاتباً كعبد الحميد ولا كأمين المقفع ولا كما كولي. فيقول: لا نبوغ في هذه الأيام وينسى أن الذين يتحدث عنهم جميعاً طواهم الموت وأحاطهم القدم بجلاله، ومحا أسماء منافسيهم الذين كانوا يعيشون معهم وبقيت أسماؤهم وحدهم، وأن المعاصرين يعيشون معنا، ونحن نقرأ أسماء النوايع وأسماء العامة، أقصد العاديين من الكتاب والفنانين، ولكن غدا سيموت الجميع، والأجيال القادمة هي وحدها التي ستدون أسماء المتفوقين الذين عاشت بدائعهم، وخلدت مؤلفاتهم. وظهرت آثارهم، عظيمة ومؤثرة وجميلة وستقول هذه الأجيال كما يقول اليوم الأستاذ أحمد أمين إن جيلها يخلو من النوايع وإن الأجيال السابقة هي عهد المتفوقين والمبرزين.

فقلنا مثل الذي يقف إلى جانب الجبل، لا يرى قمه، ولا سوافله، إنما يرى جسماً مسطحاً لا تضاريس فيه. فإذا بعد عنه ظهرت معالمه وبانت خطوطه واتضح له أنه عال في ناحية ومنخفض في ثانية، أو قل إن مثلنا مثل الوالد يعيش مع ابنه فلا يدري أنهم يزدادون طولاً مع مرور الزمن، فإذا غاب عنهم شهراً وعاد أدرك أن هذا أطول من ذاك، وأن أكبرهم أشد سمنة من أصغرهم، لأن طول النظر إلى الصورة لا يبرز معالمها.

المدارس انتشرت، والمعارف رخصت، ولكن النفس البشرية هي التي باستعدادها، سيقى النبوغ فيها استعداداً لا يضعفه نظام، ولا يقويه نظام، إنما يغير فيه قليلاً. لقد طرنا في السماء، وغصنا في الماء، ولكن لا يزال الواحد منا إذا ما خلا إلى نفسه في القمر، ثارت شجونته، وتحركت في عيونه شؤونه، تماماً كما يفعل ابن الصحراء وراكب الجمل.

وأحفادنا سيقولون - حينما يقرأون مقالنا - إننا تعجلنا الزمن، فقلنا عن عهدنا إنه عهد لا نبوغ فيه، ولأنهم سيرونه عهداً ككل العهود، فيه النوايع وفيه العاديين، فيه العالقة وفيه الأنزام.

فتى رضوانه

بعد أن يكون قد اكتسب قوته بعرق جبينه فما علينا إلا أن نوجه أنظارنا إلى ألوان الشمس العظيمة ساعة غروبها ، وتعلم منها عن كذب طرق التحول ونعد قبلاتها الحلوة التي تطبعها على سطح الأرض من نعم الطبيعة . أجل يتحتم علينا أن نبحت بدقة وحذر خشية أن تتخبط في ديجور الظلام كما يتخبط اللص في الخفاء

انه لأحساس نبيل لو أتيح للإنسان أن يكون كشجرة الأرض الباسقة ، تلك الشجرة المغروسة على أعالي القمم ، تنقل عنها من حين إلى آخر على المروج الخضراء والكروم الزمردية ، ولكن هذه الشجرة - وهي سيدة الأشجار - ستبقى على الدوام مهددة بميلها للسقوط في وسط الأدغال ، حيث الحركة والحياة بين الحشرات والأزهار وبين القطعان في مراعيها ، وحيث الأطفال يضحكون وحيث تستغرق السعادة في سباتها العميق هذه الأفكار مرت سراعاً بمخيلتي ، عند ما كنت أنظر صفوف نوافذ منازل مكة التي تطل على هذا الوادي الضيق ، ثم وقع نظري على المآذن الشاحخة وقد فارقتها أشعة الشمس الذهبية ، كأنها تناديني أن أقرب منها . وهذه الشمس التي غربت هي بغير نزاع ذلك الصاحب الأمين للأجنبي ، فشمس الصباح وشمس الظهيرة بهما قوة واقتدار مثل قوة الشاب العاشق ، ولكنها على الدوام واحدة لا تتغير ، أي أنها لا لون لها ، وتكاد تكون في الغالب وحشية شاحبة ومزعجة . انها لا شيء سوى القوة الغشوم ، فهي كالألة ، يد أنه ينقصها الاحساس ، والصوت ، والضمير ، والشوق . فهذه الشمس التي تغرب ، ليست سوى حب الرجل البالغ ، فالضمير ، والمعرفة ، والفرح ، والأحزان قد تغلبت عليها مئات المرات ، وأخضعها لسلطانها ، وظلت الآن في كفاحها تغالبها ، وستظل في هذا الكفاح الدائم راضية بالحياة ، بمنزلة مع الموت

هنا سمعت المؤذن يدعو المؤمنين إلى الصلاة ، وهنا يجب علينا أن نولي وجوهنا شطر الكعبة المقدسة لنسجد للحق القيوم ، مالك الملك ، الذي خلقنا فسوانا ، وفي قدرته الحياة والموت ، صاحب الأمر الذي إذا أراد شيئاً فأنما يقول

حين صمودها وحين أوتيتها إلى الحريم . فالمرأة في كل زمان ومكان ، هي المرأة ، أو ذلك اللغز الغامض ، في الغرب وفي الشرق على السواء ، فإذا ما دفعني حب الاستطلاع لرؤية فاطمة الجميلة ، وليس هذا بمستغرب من رجل مثلي ، أخذت أنظر إليها خلسة من إحدى الثغرات ، ويلوح لي أن الفتاة الصغيرة كانت تشعر أيضاً بأن العيون موجهة إليها من خصاص الشباب فكانت تتخذ كل حيلة وحذر فتقفل نوافذها وترخي السدول عليها حتى تمنع عنها تلك النظرات التي تخافها وتخشاها ، ولكن فاتها أن في الفضاء تياراً خفياً ينشر جاذبية العواطف ، وينبعث من شعاعه شرارة سرعان ما تكون سيباً في تأجج تلك النيران التي تضيء الحياة بلهبها . هذه التيارات خفيفة في الواقع لأنه حين اشتعلها تزيد أوار الحب في القلوب البشرية ، فتوقظ فيها وسائل الحياة ووسائل الموت دون تفرقة بينهما . أما أنا فلا أخفي عنك أنني ارتعدت من هول ذلك التيار ، فرميت رأسي إلى الوراء حياء مخافة أن يقع نظر الفتاة على وأنا أتجسس عليها عن كذب ، ومخافة العار والفضيحة ولا سيما وأنا غريب عن البلاد

ففي أرض الحجاز ، تلك البلاد التي لا يوجد فيها من الجنس الأوروبي غير شخصي الضعيف ، مرتدياً تلك الملابس الأفريقية ، والذي تخرج من فمه رطانة لا يفهمها غيره ، كنت مضطراً بحكم البيئة التي تربيت فيها أن أبحث وأدقق في كل ما يقع نظري عليه ، ولكن بروح أجنبية . فكان شأني شأن اللص الذي يتسلل إلى بيت تحت جنح الظلام ، في وقت هجوم سكانه ، ثم يخشى أن يقوده سوء الطالع فتصدم رجله قطعة من الأثاث ، أو يفتح باباً خلسة ، يد مرتجفة ، بل قد تراه يتلفت ذات اليمين وذات اليسار خائفاً وجلاً ، فإذا صادف أن شعوره الاجرامى لم ينبض في صدره ، لحينذاك يكاد يطير فرحاً لاقتناصه فريسته ، وإذا لم يجد وازعاً من ضميره فانه يفخر بانتصاره على ضحيته . ومن الأسف أن هذا الشعور الاجرامى يلزمنا من المهد إلى اللحد ، فأماننا الرجل العادي الذي يهرع إلى فراشه ليلا على حين تقصيه نحن في مسامرة النجوم . وفي الوقت الذي يعود هوفيه إلى بيته

له كن فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء . وإليه ترجعون ، إنا ندعوه ونبتل إليه في قعودنا وقيامنا ، إذ ليس أفضل من الابتال إلى قدرته ، تلك القدرة الدائمة الأبدية ، فطوبى لمن يخشون ربهم . نعم طوبى لهم وحسن مآب خيم الظلام المخيف على جميع أطراف مكة ، وفي هذه البقعة الصحراوية الجرداء نرى بيت الله ، ذلك البيت العتيق قبلة الشعوب الإسلامية ، الذين ينسون حطام الدنيا ومتاعها ويطأون المادة بأقدامهم ويستعيضون عنها بالآيمان المطلق ، وهو لعمري آمن من كل شيء في الوجود ، فيتخلصون من شرور الجسد ويصعدون بأرواحهم إلى أعلى عليين . وما أحلى وأطيب سماعك آذان المغرب في بلاد العرب ، أو على الأقل ما وجدت شيئاً أروع منه ، خصوصاً وقد قدمت الى هذه الأرض المقدسة لانتظر من أدراى وأبغى الثواب والمغفرة ، وسيعلم الانسان عند ما تصعد الروح إلى بارئها ، وعند ما تنهار أعمال الرجال ، فإنا بفطرتنا نلجأ إلى حماية الرب العظيم ، حيث الماء والهواء يحركان الصخر ؛ ولكن على الرغم من ذلك نحاول أن ننشل أنفسنا من وهدة القنوط بقوة الايمان ، تلك القوة التي تخفف عنا عذاب الضمير وتهدى من ثورة عواطفنا الجامحة ، فطمئن قلوبنا بذكر الله وتجري على شفاهنا آيات الكتاب الكريم

أليست كلمات الله العذبة الفصيحة قادرة على أن ترشد الانسان مهما كان زائغ العقيدة إلى الصراط المستقيم ؟ ذلك الصراط الذي وعد الله به عباده المتقين فيرون ضرو الشمس الساطعة في كل جزء من أجزاء الحياة ، وعند ما تشعر النفس بالكآبة فلا عزاء لها إلا أن تيمم نحو الخالق العظيم لأن الله سبحانه وتعالى يحب من عباده التوسل والضراعة إليه ، والكل يعترفون من فيض نعمائه لأنه رحيم رؤوف بعباده . على ضوء هذه العقيدة اضطجعت في غرقى وأغمضت عيني فشعرت بازدياد ضربات قلبي ثم ألفت نفسي أتلو آية الكرسي ، وهناك شعرت بدمعتين حارتي تنحدران على خدي . ثم اسدل الليل ستاره وخيم السكون على أنحاء المدينة

وبدأ القوم يوقدون مصابيحهم الزيتية ، وحضرت الخادم تحمل طعام العشاء فرعان ما شعرت بأنى أهبط من طبقات السمو والتفكير في صفات الخالق إلى حضيض الأرض ، وبعد أن تناولت عشاءً نهضت فارتديت سروالى وعصبت رأسى بعصبة أحكمت فوقها عقلا ، ثم ممت شطرجبل أبى قيس لزيارة صديق الأستاذ عبد الله رافع الذى دعانى مع آخرين لقضاء ليلة ساهرة في بيته ، فاخرقت في طريقى سوق المدينة ورأيت الشوارع لا تزال مكتظة بالزوار وحجاج البيت الحرام . وكانت دار صديقى حافلة بالضيوف فما كدت أغشى الصالة الكبرى حتى أحسست أنى في عزلة عن الضوضاء ، وشعرت بالهدوء الشامل والطمأنينة المريحة

وأستطيع أن أقول إن جماعة الوهابيين في بلاد العرب يحرمون بتأناً الاجتماع في الولائم وغيرها ، وحجتهم في ذلك أنها مخالفة لنصوص الشريعة والسنة ، ويقولون إن التقشف الغذاء النفسانى لكل طالب ، ويعززون رأيهم بأن الانسان ما خلق إلا للعبادة والتقوى ، وائس له أن يتوغل في إعطاء النفس شهواتها لأن الحياة في ذاتها كلها تعب وقصيرة ؛ وليس الغرض منها أن يتمتع الناس وينغمسون في شهواتهم ، بيد أنى أرى أنهم يبالغون في هذا التحريم لأن الله حين نظر إلى التراب الذى خلق منه آدم والذى تكون منه العالم ، سقطت من عينه دمة ، وهذه الدمة كانت تحمل شطراً من القلب ومن طبيعته أن يوجد فيه الحب والاحزان وغيرها من الصفات الكامنة الآن في نفوسنا .

(البقية في العدد القادم)

السيد عمر مكرم !
انتظر مقالا في العدد القادم

أول مدرسة مصرية فرنسية *

للدكتور زكى مبارك

هذه أول مرة تلقى فيها كلية اللغة العربية ، بجانب كلية اللغة الفرنسية ، في هذا المعهد ؛ وذلك حق كسبته اللغة العربية منذ عامين ، منذ إنشاء القسم المصرى الذى تسود فيه اللغة العربية سيادة أصيلة ، ويدرس فيه الأدب العربى دراسة مفصلة ، على نحو ما يدرس في أرقى المدارس المصرية

والقسم المصرى لم ينشأ بهذا المعهد لمجرد الجمالة ، وإنما هي خطة تعليمية قضى بها المنطق السليم ، وتوجيه صالح وفق إليه المشرفون على سياسة التعليم في هذا المعهد الذى يجمع بين القديم والحديث .

فأنا أيها السادة أتكلم باسم أساتذة اللغة العربية في القسم المصرى كما تكلم زميلى المسيو بارال باسم أساتذة اللغة الفرنسية في القسم الفرنسى ، وكذلك يأخذ الأدب العربى مكانه في تقاليد الحفلات السنوية منذ اليوم ، وبصير من حظ هذا المنبر أن يطرب في كل عام وهو يستمع لغة القرآن .

وإنشاء القسم المصرى في معهد اللبسيه هو الذى أوحى إلى موضوع هذه الخطبة ، وهو الكلام عن أول مدرسة مصرية فرنسية في التاريخ الحديث .

والمدرسة التى أعنيها هي البعثة التى أرسلها محمد على الكبير إلى فرنسا في سنة ١٨٢٦ وقد كانت مؤلفة من اثنين وأربعين طالبا منهم ثلاثة من طلبة الأزهر الشريف .

وما سميت تلك البعثة مدرسة من باب المجاز فقد كانت مدرسة بالفعل ، وكذلك سماها المسيو جومار في التقرير الذى نشره في الجورنال أزياتييك في سنة ١٨٢٨ .

ومن طريف التشابه أن أذكر أن المدرسة المصرية الأولى كانت مؤلفة من اثنين وأربعين طالبا ثم زاد طلبتها بعد ذلك وأن القسم المصرى في اللبسيه كان طلبته في الأسبوع الأول

اثنين وأربعين طالبا ثم تكاثر العدد وازدحمت الفصول . ولعل تشابه الحظوظ في هذه البداية يبشر بتشابه الحظوظ في التمام والتفوق . والله بالتوفيق كفى .

سافرت البعثة من مصر في يناير فوصلت إلى باريس في يوليو ، وإنما كان السفر طويلا لأن المواصلات لم تكن سهلت إلى الحد الذى تعرفوه في هذه الأيام ، وقد كانت تلك الرحلة المطولة سبباً في أن يتعرف الطلاب إلى الأقاليم الفرنسية ، ويدرسوا ما اختلف وما اختلف من أخلاق الناس .

ولما استقر الطلبة في باريس عاشوا تحت إشراف ثلاثة من الأساتذة المصريين ، وكان لأولئك الأساتذة الثلاثة واجبات دراسية ، ومن هذا ترون كيف كان المصريون يعرفون واجبه في ذلك الحين

كان الطلبة يقيمون أول الأمر مجتمعين في بيت واحد يسمونه المركز ، ثم روى أن ينفرقوا في المنازل الفرنسية ليتذوقوا الروح الفرنسى . فنظمت لهم لائحة مكونة من أربع عشرة مادة . وإليك نصوص تلك المواد لتروا كيف كانت إدارة البعثة تفهم الواجبات التعليمية في تلك العهود

المادة الأولى : (١) إن يوم الأحد المقرر لهم الخروج فيه يلزم أن يخرجوا من البنسيونات في الساعة تسعة ويأتوا إلى البيت المركز من أول الأمر ويقدموا وقت الدخول ورقة معلمهم إلى الأندى النوبتجى لأجل أن يعلم ساعة دخولهم في البيت ، وبعد ذلك يذهبون إلى المواضيع المعدة للفرجة بشرط أن يجتمع ثلاثة أو أربعة ، ثم يرجعون إلى البنسيونات في أيام الصيف الساعة تسعة ، وفي أيام الشتاء الساعة ثمانية

المادة الثانية : إن من لم يمثل لخصوص ما سبق يمنع الخروج من البنسيون بحسب الاقتضاء جمعة أو جمعتين

المادة الثالثة : إن كل من له شكاية من معلمه لا تسمع ولا تقبل حتى يكتبها في ورقة . ولا تسمع إلا إذا كانت من جهة التعليم أو جهة أخرى يحصل له منها ضرر

(١) هذه اللائحة كتبت بقلم المنفور له الشيخ رفاعه بك الطهاوى وقد اختفتنا بمباراته

ونرسل فاعل القبح والعصيان بنفسه حالاً إلى مصر من غير شك ولا شبهة .

المادة الثانية عشرة : إن جميع الأفندية يكونون في البنسيونات في هذا الترتيب على حد سواء ، وإن كان في البنسيونات مائدتان أحدهما للبعليين والآخرى للتلاميذ فأفنديتنا يأكلون مع معلمهم .

المادة الثالثة عشرة : إن الأفندية المذكورين يلزمهم جميع ما ذكر من القوانين من غير امتياز ولسبب ذلك أعطينا كل واحد منهم صورة ذلك

المادة الرابعة عشرة : كل المواد السابقة هي خلاصة أفكارنا ونتيجة أذهاننا وأذهان الأعيان الذين وصاهم علينا حضرة أفندينا ، وبناء على ذلك كل أحد يلزمه أن يتبعها مع التنبيه لأجل تحصيل رضا حضرة أفندينا ولي النعم . فمن لم يمثل أو تغلل بشئ يجرى عليه ما هو مذكور في قانون حضرة أفندينا ولي النعم حفظه الله

أيها السادة :

حدثكم أن محمد علي الكبير وكل رعاية تلك البعثة إلى المسيو جومار ، فاسمحوا لي أن أشير إلى بعض النواحي من أخلاق ذلكم الرب العظيم .

كان المسيو جومار يحرص أشد الحرص على تذكير الطلبة المصريين بأنهم من شعب مجيد له فضل سابق على الإنسانية فقد قال في الخطبة التي ألقاها عليهم في حفلة توزيع الجوائز في اليوم الرابع من يولييه سنة ١٨٢٨ :

« أيها الشباب ، هذه أول مرة بعد وصولكم إلى فرنسا تعطى لكم أمام الجمهور المكافأة التي تستحقونها على عملكم الذي ثابرت عليه ، وهذا اليوم يعد من أفضل أيام حياتكم ، والآكاليل التي ستوج بها رؤوسكم بعد هنية هي رمز غر عظيم ، لأنكم أنتم في عاصمة العلوم والفنون ، وفي وسط مدينة تجمع بين جوانبها كل ما وجد من عناصر المدنية اليونانية وكل ما وجد من العناصر الفخمة في طيبة ذات المائة باب .

أمامكم مناهل العلم فاغترفوا منها بكلتا يديكم ، وهذا هو

المادة الرابعة : إن جميع الأفندية يمتحنون في آخر كل شهر ليعرف ما حصلوه من العلوم في هذا الشهر ويسألون عما يحتاجون إليه من الكتب والآلات ويكتب في آخر كل شهر كتبهم وتحصيلهم وأفعالهم على الوجه الصحيح

المادة الخامسة : لو احتاجوا شيئاً من الكتب والآلات في أثناء الشهر يطلبونه من معلمهم بورقة يكتبونها له ، ومعلمهم يخبر بذلك مسيو جومار ، فإن رآه مناسباً يعطيه ذلك بعد ما يخبر النوبتجي ، فإن اشترى أحد شيئاً من غير إجازة يلزمه أن يدفع ثمنه من عنده

المادة السادسة : إنه بعد الامتحان بما ذكرنا في المادة الرابعة إن استحق أحد من الأفندية الهدية ^(١) لنجابهة تعطى له كتب وأدوات وسعة

المادة السابعة : في محل التفرج أو الطريق لا ينبغي لأحد منهم أن يرتكب ما يخجل بمروءته ، وهذا الأمر هو أهم الجميع ومنوع أشد المنع

المادة الثامنة : إن كل الأفندية الذين في البنسيونات لا يدخلون البيت المركز إلا كل خمسة عشر يوماً مرة وهو يوم الأحد

المادة التاسعة : إن يوم الأحد الذي لا يأتون فيه إلى البيت يخرجون فيه مع أولاد الفرنساوية أو مع المعلمين إلى مواضع التفرج أو الرياضة أو ما ينبغي رؤيته ، وكذلك يوم الخميس أو يوم التعطيل ^(٢) ، إن لم يكن عليهم شغل فيذهبون مع من ذكر إلى المواضع المذكورة

المادة العاشرة : إذا خالف أحد هذا الترتيب يقابل بقدر مخالفته ، وإذا أظهر عدم الطاعة يحبس بالخشونة ، وإن كان يتشبث بأفعال غير لائقة وأطوار غير مرضية وجاءت تذكرة من معلمه تشهد عليه بقبح حاله وتبين عصيانه فثل ما ذكر حضرة ولي النعم أفندينا في القوانين التي أعطاهم لنا نتشاور مع المحبين لحضرة أفندينا من أهالي هذه المدينة

(١) الهدية هي الجائزة في التعبير الحديث

(٢) يوم التعطيل هو الآن يوم العطلة

ويحصلون الشهرة فكيف تقابلونهم إذا جئتم بهذه الكيفية وتظهرون عليهم كمال العلوم والفنون، فينبغي للانسان أن يتبصر في عاقبة أمره وعلى العاقل أن لا يفوت الفرصة وأن يجنى ثمرة تعبته ...

فإن أردتم أن تكسبوا رضاءنا فكل واحد منكم لا يفوت دقيقة واحدة من غير تحصيل العلوم والفنون، الخ. الخ. الخ. ويحدثنا الشيخ رفاعه أن هذا الخطاب كان له في أنفس الطلاب تأثير شديد، وكان من نتائجه أن صاروا يكتبون إلى مصر في كل شهر بياناً بما قرأوه وما تعلموه

أيها السادة . سمعتم اسم المسيو جومار في هذه الخطبة غير مرة، وعرفتم فضله على تلك البعثة، فن الخير أن نشير إلى أن محمد علي حفظ له ذلك الجليل، فأرسل إليه خطاب ثناء في ١٠ يناير سنة ١٨٣٤ وتروى ذلك الخطاب في كتاب سمو الامير عمر طوسون عن البعثات

أما بعد فقد كان المسيو جومار واثقاً كل الثقة وهو يلقي أول خطبة في توزيع الجوائز على أول مدرسة مصرية، وقد حققت الأيام ظنه فكان أولئك المبعوثون رسل علم وهداية وكانت معارفهم الادبية والعلمية أساساً لما عرفت مصر من أصول التمدن الحديث.

وأنا أيها السادة في أول خطبة لتوزيع الجوائز على طلبة القسم المصري أثق بتلاميذي أكثر مما كان يثق المسيو جومار بتلاميذه، وأعتقد أن القسم المصري بالليسيه سيخرج لكم نماذج جميلة من الشبان المثقفين الذين يعرفون واجبات الرجال نحن نعرف تلاميذنا أيها السادة، وأؤكد لكم أننا وضعنا في صدورهم جذوة لن نحمد، وهديتهم إلى نعيم من المعارف لن ينضب ولن يغيض

والتلاميذ الذين يفرحون اليوم بتسلم الجوائز خليقون أن ينسوا إساءتنا إليهم أيام الدرس، فقد أسرفنا في إلقاءهم بالواجبات وعاقبتهم أحياناً على هفوات صغيرة لا تستحق العقاب، إنهم خليقون أن ينسوا عنفنا وقسوتنا في معاملتهم فقد كنا على يقين من أن الأبوة تبيحنا حق التحكم فيهم،

قبسه المضي. بأنواره أمام أعينكم. فاقبسوا من فرنسا نور العقل الذي رفع أوربا على سائر أجزاء الدنيا، وبذلك تردون إلى وطنكم منافع الشرائع والفنون التي ازدان بها عدة قرون في الأزمان الماضية فصر التي تنوبون عنها تسترد بكم خواصها الأصلية، وفرنسا التي تعلمكم وتهذبكم تفي ما عليها من الدين الذي للشرق على الغرب كله،

ولم يقف المسيو جومار عند هذا الحد من التذكير بمجد مصر، بل تحدث إلى الجورنال أزياتيك عن البعثة المصرية فأشار إلى ما أنشأ محمد علي الكبير من المدارس في وادي النيل فقال إنها ستكون عاملاً لرد النور إلى وطنه الأصلي، ذلك النور الذي يجب على كل من يمني بنشر العلوم والمعارف والمدنية أن يرده إلى مهده الأصل

ولعلمكم تسألون أيها السادة عن عناية محمد علي الكبير بتلك البعثة، وجواب ذلك عند الشيخ رفاعه الطهطاوي، فقد حدثنا مذكراته أن محمد علي الكبير كان يبعث إليهم من وقت إلى آخر خطاباً يحضهم به على الجد والتحصيل، وأثبت شاهداً لذلك نسوق منه طرفاً للدلالة على مبلغ عناية ذلك الرجل العظيم بأولئك المبعوثين

قال طيب الله ثراه :

قدوة الأماثل الكرام الافندية المقيمين في باريس لتحصيل العلوم والفنون . زيد قدرهم

قد وصلتنا أخباركم الشهرية والجداول المكتوب فيها مدة تحصيلكم، وكانت الجداول المشتملة على شغلكم ثلاثة أشهر مبهمه لم يفهم منها ما حصلتموه في هذه المدة، وما فهمنا منها شيئاً، وأنتم في مدينة مثل مدينة باريس التي هي منبع العلوم والفنون، فقياساً على قلة شغلكم هذه المدة عرفنا عدم غيرتكم وتحصيلكم، وهذا الأمر غمنا كثيراً، فإفنديه ما هو مأمولنا منكم، فكان ينبغي لهذا الوقت ان كل واحد منكم يرسل لنا شيئاً من أثمار شغله وأثار مهارته، فإذا لم تغيروا هذه البطالة بشدة الشغل والاجتهاد والغيرة وجئتم إلى مصر بعد قراءة بعض الكتب فظنتم أنكم مثلهم في العلوم والفنون فإن ظنكم باطل، فعندنا والله الحمد والمنة رفقاؤكم المتعلمون يشتغلون

في الأدب الانجليزي

شكسبير والأدب العربي

للاستاذ جريس القسوس

(مودة الى الأستاذ غري أبو السود)

يقف من يتعمق في دراسة الأدبين العربي والانجليزي على ظاهرة غريبة حرية باهتمام من يعنون بدراسة الآداب الأفرنجية، أعنى بها التماثل الظاهر بين ما يرد في كلا الأدبين من قصص وحكم وآراء فلسفية؛ وهو تماثل يحمل المرء على الاعتقاد الجازم بأن أحد هذين الأدبين قد اقتبس من الآخر، أو تأثر به تأثراً بعيداً

وفي روايات شكسبير خاصة من القصص والحكم والكنايات والاشارات ما يثبت أن مؤلف هذه الروايات الخالدة كان

وتفرض علينا أن نلقاهم بوجوه تمثل الحزم وقلوب تضمر العطف والوداد

إنما نمنحك الجوائز أيها الأبناء النجباء لتنسوا هموم الدرس فاذا تصنعون أنتم لمكافأة أساتذتكم؟ إن لنا في ذمتكم جائزة واحدة ففضلوا بها علينا

أو تدرون ماهي تلك الجائزة؟ هي أن تكونوا أبطالاً يرفعون الوطن ويخدمون الإنسانية

لقد منحناكم خير ما نملك، فامنحوا الوطن والانسانية خير ما تملكون

أيها الأبناء النجباء

لقد شقينا لتسعدوا، فليس من الكثير أن نطلب منكم أن تشقوا ليسعد الوطن وتسعد الإنسانية

تذكروا يا أبناءنا الأعزاء أن الشقاء في سبيل الخير هو السعادة الغالية التي يلبسها أرباب القلوب

نكي مبارك

ملأ بعض الالهام بالأدب العربي، وخاصة القديم منه، ولا نقول العكس لأن هذه القصص المتشابهة وردت في الآداب العربية قبل الانكليزية بعهد طويل.

وأنتى لا أرى مبرراً للزعم بأن شكسبير نقل حكمه وأراه الفلسفية عن الادب العربي، إذ أن الشاعر في كل آن ومكان وفي أية حالة أو ظرف من ظروف الحياة. لا يخرج عن كونه إنساناً يتألم ويحس بما يحس به غيره من الشعراء عند الامم الاخرى، وإن اختلفوا لغة وجنساً، فالحياة والطبيعة البشرية، اللتان هما المصدران الرئيسيان واللذان يستمد منهما الشاعر المخلد وحيه، إنما هما ثابتتان لا تتغيران أصلاً في كل بيئة وزمان، فشكسبير والمتنبى، ويرون وعمر بن أبي ربيعة، وشلي وموسيه، وداتى وأبو العلاء، جميعهم خلقوا في سماء الشعر، واختلجت في صدورهم أحاسيس وأخيلة وفكر متماثلة بعض التماثل في المعنى، وإن كانت تختلف بما ألبسته هذه المعاني الرائعة من أثواب قشبية منمقة لهذا ترى العباقرة في كل باب وفن يتجردون من السفاسف البشرية التافهة والهنات السخيفة التي يتمسك بأذيالها فئة الجهال، كالقروق الدينية والجنسية واللغوية، إذ يتسامى العباقرة عن كل تعصب ذميم عمقوت وينضوون تحت لواء مملكة واحدة هي فوق هذه الممالك التي تظهر متباينة الالوان على المخططات الجغرافية

ولعل هذا القول يصدق على التشابه الظاهر بين الحكم والآراء الفلسفية الواردة في شكسبير والادب العربي، أكثر منه على الخرافات والقصص العامة.

فهذه تتداولها الألسن من قطر إلى قطر وتتناقلها الأجيال من عهد إلى عهد؛ ولا حرج على الأديب المنتج من تضمين أدبه قصة عامة تلقاها عن أمة أخرى بالرواية أو المطالعة. وللعالم والأديب الكبير بيزا Beza. فصل رومانيا السابق في فلسطين. أبحاث شيقة حول موضوع شكسبير والخرافات الشرقية. وقد سرد في محاضرة له قيمة سماها:

Sheakespeare V. the Ohiental Folklore (شكسبير والقصص العامة الشرقية) طائفة من القصص والخرافات التي كانت تدور على ألسنة العوام والفلاحين في الشرق، وحين

«أرى شجراً يسير، فقالوا: كذبت أو كذبتك عينك، واستهانوا بقولها، فلما أصبحوا، صبحهم القوم، فاكتمسحهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقيل أخذوا الزرقاء فقلعوا عينيها وقصة أخرى يشير إليها المستشرق الانكليزي الشهير نيكلسون في كتابه Literary History of the Arabs في سياق البحث عن الحياة العامة في القسم الجنوبي من جزيرة العرب ولقد وردت هذه القصة في قصيدة (أسعد كامل أو أبو كرب) التي أطلق عليها نيكلسون اسم (قصيدة الساحرات الثلاث «The Ballad of the three witches» ذلك لما بينها وبين خرافة الساحرات الثلاث. اللواتي يمثلن ذلك الدور المدهش في رواية مكبث. من تشاكل وتشابه عظيمين. والقصيدة كما ستري، موضوع في قالب أقرب إلى العامية منه إلى الفصحى. وقد نقلها فون كريمر Von Kremer المستشرق الألماني إلى الألمانية مودعا إياها كتابه Altarabische Gedichte وكذلك نقلها نيكلسون إلى الإنكليزية في كتابه المذكور^(١) وفي هذه القصيدة يخاطب أسعد ابنه حسنا ويوصيه بالبطولة، ويسرد له في سياق الحديث قصة الساحرات الثلاث كيف صادفنه غلاماً، فرجت له الكرى أولاً دواء، وأعطته فشرب، وقدمت له الوسطى ضعباً برياً امتطاه وذله، ثم جاءت الصغرى تمرضه فتجنبا. ولما أيقن فيه هذه الجرأة النادرة والقدرة على مقارعة الخطوب، تنبأن له بعهد سعيد ومستقبل باهر، يتنسم فيه ذرى المجد. وهكذا تمت النبوءة فقد أصبح أسعد، على ما جاء في القصيدة، قائد جيش مجر، ثم ملكاً تهابه الأعداء.

وأنت تذكر أن مكبث كان في أول عهده قائدا مغواراً في عسكر الملك دانكين Duncen ولما عاد هو وبنكو Benku مظفرين لقيافي طريقهما، ثلاث عجائز شبط، دأبن القيام بأعمال سحرية خارقة، ولهن القدرة على قراءة المستقبل، ومعرفة الغيب فتنبأن أن سيكون مكبث مبدئياً من الشرفاء، ثم يعتلى العرش. وبعد ذلك بقليل تحقق القسم الأول من النبوءة، فقد اختار الملك القائد مكبث ليكون شريفاً، ثم تعلم كيف

رجع الصليبيون إلى أوروبا نقلوا معهم الشيء الكثير منها، فانتشرت تلك القصص بين الخاصة والعامة في الأوساط الأوربية. فكان شكبير أحد أولئك الذين ذكروا هذه القصص في متوجاتهم الأدبية. وأنا لا أدري إلى أي حد تبلغ هذه النظرية من الصحة. بيد أنني وقفت على قصص عديدة في روايات شكبير، ذكرتني بأخرى في الأدب العربي، شبيهة بها بعض الشبه.

ولا إخال أحداً طالع رواية مكبث Macbeth ولا يذكر لأول وهلة قصة زرقاء اليمامة فشكبير قد ضمن هذه الرواية فكرة الغاب المتحرك. إذ حينما عبأ مكدوف Macduff جيشه العظيم متقها لوالده المغدور به، ومستعيداً ملكه المغتصب من مكبث القائد الطاغية العنيد، بعث مكبث من يستطلع أمر العدو، فاعتلى أحد جنده ربوة عالية تشرف على جيش عدوه. وبدلاً من أن يرى جيشاً لجباً، رأى غاباً كثيفاً يتحرك نحوه رويداً رويداً. فماد الرسول وأخبر مولاه بما رأى. فأيقن مكبث أنه لا محالة هالك، إذ بذلك تتحقق نبوءة الساحرات الثلاث اللاتي ظهرن له في أول عهده، وتنبأن له باحتلال العرش، وأنه لن يلقى حتفه حتى يرى غاب برنام Birnam wood، يتحرك نحو مقاطعة دنسنان Dunsinane، وما كان غاب برنام الذي شاهده جندي الطليعة يتحرك إلا جيش مكدوف متسترأً بأشجار اقتطعها وحمل كل جندي منهم شجرة يسير تحتها متخفياً لئلا يتمكنوا بذلك من مفاجأة العدو، والايقاع به على حين غرة. وهكذا أسفرت المعركة عن انهزام مكبث ولقاء حتفه على يد الابن الناصر.

وصاحب الأغاني^(١) يذكر كيف كانت زرقاء اليمامة ترى الجيش من مسير ثلاثين ميلاً، وكيف أن قوماً آخرين غزوا قبيلتها. فلما قربوا من مسافة منظرها، قالوا: كيف لكم الوصول مع الزرقاء، فأجمعوا على اقتلاع أشجار تستر كل منها فارساً إذا حملها. ففعلوا ذلك وساروا. فأشرفت الزرقاء كعادتها، فأجابت قومها وقد سألوها: ما نرى، قائلة:

(١) الأغاني. ج ٢ ص ٢١

سوّلت لمكبث نفسه التطلع إلى الملك ، فدعا الملك ، دنكن ، إلى وليمة وقضى عليه ليلاً ، ثم نصب نفسه ملكاً على الشعب ومن يدرس ما جاء على لسان هؤلاء الساحرات في رواية مكبث من أقوال دقيقة معقدة ويقابل ذلك بحديث الساحرات في العقيدة العربية يلقي تشابهاً يدعو إلى الإعجاب الشديد ، فساحرات مكبث من شأنهن طبخ الادواء ومزجها واستعمالها في جميع أعمالهن السحرية ، وشبهه بذلك ما جاء عن ساحرة أسعد الكبرى ، فقد ورد أنها

جاءت إليه الكبرى بأسقية شتى وفي بعضها دم كدر ثم إن الضيع الذي قدمته الساحرة الوسطى لأسعد هو من مطايا ساحرات أسعد ؛ وفي رواية مكبث تشير إحدى الساحرات إلى اتخاذ زوجها الفرم مطية تحمله إلى حلب العربية ولا أدري ما الذي حدا بشكسبير إلى ذكر حلب البلدة السورية العربية . لو لم يكن بين هاتين الخرافتين من علاقة وثيقة وسبب متين —

أما وقد بسطنا بعض وجوه الشبه بين الخرافتين ، فمن المستحسن الاتيان بقصيدة أسعد كامل بكاملها ليتسنى بذلك مقابلتها مع الخرافة الشكسبيرية بالتفصيل والتدقيق

الدهر يأتيك بالمعائب و الأيام والدهر فيه معتبر
بيننا ترى الشمل فيه مجتمعا فرقه في صروفه القدر
لا ينفع المرء فيه حيلته فيما سيلقاه لا ولا الخذر
أتى زعيم بقصة (عجب) عندي لمن (يستردهذا) الخبر
يأتى بتصديقها الليالى و الأيام إن المقدور ينتظر
يكون في (الأسد) مرة رجل (ثم) له في ملوكه الخطر
مولده في قرى ظواهر همدان بتلك التي اسمها (خر)
يقهر أصحابه على حدث السن (ويحقرهم) فيحقر
حتى إذا أمكنته صولته وليس يدري ما شأنه البشر
أصبح في هيوم^(١) على وجل وأهله غافلون ما شعروا
رأوا غلاماً بالأمس عندهم أزرى اديهم بجمله الصغر
أن يفقدوه لا در درهم لو عاموا العلم فيه لا فتخروا
حتى إذا أدركته روعته بين ثلاث وثلاثة صخروا

(١) الأسر (٢) الهوم

جاءت اليه الكبرى بأسقية شتى وفي بعضها دم كدر فقال هاتى إلى أنبرها فناولته فما تورع عن فنهته الوسطى فنازلها قالت له هذه مراكبنا فقال حقاً صدقت ثم سما فدق منه جنباً فغادره ثم أتته الصغرى تمرضه فقال عنها بمضجع ضجر كان إذ ذاك بعد صرخته فقلن لما رأين جراته في كل ما توجه به بوجهها وأنت للسيف والسنان وفي (وإن) أنت المهرىق (كل) دم فارشد ولا تستكن في (خر) فلست تلتذ عيشة أبداً نحن من الجن يا أبا كرب فما بلوناه فيك من تلف ثم أتى أهله فأخبرهم فسار عنهم من بعد تاسعة فحل فيها والدهر يرفعه في عظم الشأن وهر يشتمر حتى أتته من المدينة تشكو الظلم شمطاء قومها غدروا (أدت) إليه منهم ظلامتها ترجو به نأرها وتنتصر فأعمل الرأي في الذي طلبت (فكان) كل بذاك بأنمر فعبا الجيش ثم سار به قد ملأ الخافقين عسكره تعم أعداءه (كثابه) وليس يبق فيهم ولا يذر حتى مضى منه (لثانية) وفاز بالنصر ثم ينتصر إنا وجدنا هذا يكون معاً في علمنا والمليك مقتدر فالحمد لله والبقاء له كل إلى ذى الجلال مفتقر

(السط - شرق الاردن) هريسي القموسى ب . ع
مدرس اللغة الانجليزية في مدرسة السلط التجهيزية
(١) الذعر (٢) الومر

فقال له : ألا جئت إليهم حتى لا تقول : حلقة ، حلقة (١) ؟

٩٣ - الخاطر

قال ابن جني في (الخصائص) :

حدثني أبو علي (الفارسي) قال : قلت لأبي عبد الله البصري : أنا أعجب من هذا الخاطر في حضوره تارة ومغيبه أخرى ، وهذا يدل على أنه من عند الله ، فقال : نعم ، هو من عند الله إلا أنه لا بد من تقديم النظر ، ألا ترى أن حامداً البقال لا يخطر له .

ومن ظريف حديث الخاطر أنني كنت منذ زمان طويل رأيت رأياً جمعت فيه بين معنى آية ومعنى قول الشاعر :

و كنت أمشي على رجلين معتدلاً

فصرت أمشي على أخرى من الشجر

ولم أثبت حينئذ شرح الجمع بينهما ثقة بحضوره متى استحضرت ، ثم إنى الآن وقد مضى له سنون أعان (٢) الخاطر واستتمده (٣) وأفانيه (٤) وأنودده على أن يسمح لي بما كان أرائيه من الجمع بين معنى الآية والبيت ، وهو معتاص متأب ، وضنين به غير معط .

٩٤ - أفضل الناس بمر رسول الله

أبي شيبي وسني أبا نواس فقالا : أي الناس أفضل بعد رسول الله ؟

فقال : أفضلهم بعده يزيد بن الفضل .

فقالا : ومن يزيد بن الفضل ؟

فقال : رجل يعطيني كل سنة ثلاثة آلاف درهم ...

٩٥ - رية

في (الكشف) :

عن بعض العرب أنه سئل عن نسبه ، فقال : قرشي والحمد لله !

فقيل له : قولك : (الحمد لله) في هذا المقام رية .

(١) يرى بلال - كما يرى ابن السكيت - تمكين اللام ، وقد حكى سيويه فتح اللام . وحكي الأماوي كسر اللام وسكون اللام (وهي لغة في الحارث بن كعب)

(٢) في اللسان : طنه ضائناً ومجاناً كما يقال : طارحه سارحة وغراشا

(٣) في الأساس : استمدني فلان بلمدته أي استعطاني فأعطيت

(٤) في اللسان : المماناة : المصاراة وفانيت الرجل داريته وسكنته

قبل الأديب

هزستان محرابان لتنايبي

٩٠ - من اكتب ضمناً بعث الله ضمناً

في (القائق) للزحشري :

قال عمر (رضي الله عنه) : من اكتب ضمناً بعث الله ضمناً (١) . وهو الرجل يضرب عليه بالبعث فيتعال ويتعاض ولا مرض به . ويحكى أن أعرابياً جاء إلى صاحب العرض فقال : إن تكتبوا الضمني فاني لضمن من داخل القلب وداء مستكن

٩١ - منذ ثلاثين سنة أنتظر

سئل الشاعر الاهوازي كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت (والله) أظرف الناس ، وأشعر الناس ، وأدب الناس .

فقال السائل : اسكت حتى يقول الناس ذلك .

فقال : أنا منذ ثلاثين سنة أنتظر الناس ، وليسوا يقولون .

وعزيز على مدحى لنفسي غير أني جشمتي للدلالة

وهو عيب يكاد يسقط فيه كل حر يريد يظهر حاله (٢)

٩٢ - حلقة ، حلقة

في تاريخ ابن عساكر :

كان زريع على عسس بلال فقال له يوماً : يا بني ، إن أهل الأهواء (٣) يجتمعون في المسجد ويقنازعون ، فاذهب فتعرف ذلك ، فذهب ثم رجع إليه ، فقال : ما وجدت فيه إلا أهل العربية حلقة ، حلقة .

(١) لسب القول في غير القائق إلى ابن عمر وإلى عبد الله بن عمرو بن العاص وفي (النهاية) الضمن الذي به ضمانة في جوده من زمانة أو كسر أو بلا . المعنى من كتب نفسه في ديون الزمن ليعذر عن الجهاد ولا ضمانة به بعث الله يوم القيامة دناءة

(٢) (يظهر) بالرفع . والنصب جائز عند الكوفيين وحجهم : (ألا ايذا الزاجري أحضر الوغي) وغيره . والشعر لابن الرومي

(٣) أهل الأهواء : أهل البدع ، التحل الزانية

٩٦ - أستريح منه اليك

في (الصناعتين) لآني هلال العسكرى :
قال معاوية (رضي الله عنه) لابن أوس : ابلغ لي محدثاً
قال : أو تحتاج معي إلى محدث ١٩
قال : أستريح منه اليك ، ومنك إليه ، وربما كان صمتك
في حال أوفق من كلامك .

٩٧ - والى شرطة بغداد وأهل السنة والشيعة سنة ٤٤٢

في (النجوم الزاهرة) لابن تغري بردى :
في سنة (٤٤٢) كان من العجائب أنه وقع الصلح بين أهل
السنة والشيعة ، وصارت كلمتهم واحدة . وسبب ذلك أن أبا محمد
النسوي ولي شرطة بغداد ، وكان فاتكاً ، فاتفقوا على أنه متى
رحل إليهم قتلوه ، واجتمعوا وتحالفوا . وأذن بباب البصرة
ب (حى على خير العمل) وقرى في الكوخ فضائل الصحابة ،
ومضى أهل السنة والشيعة إلى مقابر قريش فعد ذلك من
العجائب . فان الفتنة كانت قائمة ، والدماء تسكب ، والملوك
والخلفاء يعجزون عن ردهم ، حتى ولي هذا الشرطة

٩٨ - تغير شعره ورق طبعه

قال السمعاني : لما ورد على بن حسن البخارزي بغداد
مدح (القائم بأمر الله) بقصيدته التي صدر بها ديوانه وهي :
عشنا إلى أن رأينا في الهوى عجباً
كل الشهور وفي الأمثال : عش رجبا
أليس من عجب أنى ضحى احتملوا
أوقدت من ماء دمعى في الحشا لهبا
وإن أجفان عيني أمطرت ورقا
وإن ساحة خدي انبتت ذهباً (١)
وإن تلهب برق من جوانبهم
توقد الشوق في جنبي والتهبا

(١) الورق الفضة ، وفي المصباح : الورق النقرة المضروبة ومنهم من يقول :
النقرة مضروبة كانت أو غير مضروبة . والنقرة القطعة المذابة من الفضة

فاستهنج البغداديون شعره وقالوا : فيه برودة العجم ،
فانتقل إلى الكوخ وسكنها وخالف فضلاءها وسوقتها ثم أنشأ
قصيدته التي أولها :
هبت على صبا تسكاد تقول إلى اليك من الحبيب رسول
سكرى تجشمت الربى لتزورنى من علتى ، وهوبها تعليل
فاستحسنوها وقالوا : تغير شعره ، ورق طبعه

٩٩ - خطباء الطير

قال الثعالبي : خطباء الطير هي الفواخت (١) والقهارى (٢)
والراوشين (٣) والعنادل (٤) وما أشبهها ، وأظن أن أول من
اخترع هذه الاستعارة المليحة أبو العلا السروى في قوله :
أما ترى قضب الأشجار لابساً حسناً يبيع دم العنقود للحاسى ؟
وغردت خطباء الطير ساجدة على منابر من ورد ومن آس (٥)

١٠٠ - ما مرهته الزينة بضمانك

مدح ابن نباتة الكبير نثر الدولة وزير بهاء الدولة بن
عضد الدولة بقصيدة قال فيها :
لكل قتي قرين حين يسمو ونثر الملك ليس له قرين
أنخ بجانبه واحكم عليه بما أملكه وأنا الضمين
فامتدح بعض الشعراء فخر الدولة بعد هذه القصيدة ،
فأجازه بجائزة لم يرضها ، فجاء الشاعر إلى ابن نباتة وقال له :
أنت غررتنى ، وأنا مامدحتك إلا ثقة بضمانك فتعطينى ما يليق
بمثل قصيدى ، فأعطاه من عنده شيئاً رضى به ، فبلغ ذلك
فخر الدولة ، فسير لابن نباتة جملة مستكثرة لهذا السبب .

(١) الفاختة (ضرب من الحمام المطوق . الجوالقي : الفاختة مشتقة من
الفيض الذي هو ظل القمر

(٢) القمريه ضرب من الحمام جمه قارى بكسر الراء غير مصروف (وقتها
بضمهم) وقرأوا الأتى من القارى قرية والذكر ساق حر (التاج) وفي المصباح
القمري من الفواخت منسوب إلى طير قر والأتى قرية والذكر ساق حر

(٣) الورشان وجه وراشين وورشان (بكسر الواو وسكون الراء) هو ساق
حر . وقيل طائر يشبه بين الفاختة والحمامة

(٤) العنادل جمع عذليب وهو الدليل

(٥) الآس : ضرب من الرياضين ، خضرته دائمة أبداً ، واحدته آسة .
وهو المعروف عند العامة بالريحان

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف اليوناني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

نُسب الرقص

ومرزارا بالغاب يوماً ومعه صحبه فاكتشف وهو يفتش
عن ينبوع مرجاً منبسطاً بين الأشجار والأدغال . وكان
هنالك رهط من الصبايا يرقصن بعيداً عن أعين الرقباء . وإذا
لحن القادم وعرفته توقفن عن الرقص ولكن زارا اقترب
منهن وخاطبن قائلاً .

— داومن على رقصن ، أيتها الانسات الجميلات ، فما
القادم بمزعج للفرحين وما هو بعدو للصبايا . انا من يدافع
عن الله أمام الشيطان ، وما الشيطان إلا الروح الثقيل فهل
يسغنى أن أكون عدواً لما فيكن من بهاء ورشاقة وخفة روح ؟
وهل لي أن أكون عدواً للرقص الالهى ترسمه مثل هذه
الأقدام الضواهر الرشيقاات . . . ؟

لاريب في أنى غابة اشتبكت فيها قائمات الأشجار وساد
الحلك على أرجائها ولكن من يقتحم ظلماتى بلا خوف ليجدن
تحت سرواتي الرهيات طرقاتاً تحف بجائنيها الورود . وليجدن
أيضاً الاله الصغير الذى تشناه الصبايا منطرحا بسكون قرب
الينبوع وقد أغمض عينيه

لقد نام في وقت الظهيرة ، هذا الاله المترامخى ، ولعله
سعى طويلاً ليصطاد من الفراشات عدداً كبيراً . . .

لا يكدركن منى أيتها الراقصات الجميلات تأديبي لهذا
الاله الصغير ، ولعله يصبح ويكي ولكنه إله يجلب المسرة
حتى في بكانه . فلسوف اقتاده لإيكن والدموع سائلة على
خديه ليطلب اليكن أن ترقصنه ، وإذا مارقص فسأرافقه أنا
بأنشادى فأتجى . نغماتى إلا هزجاً أصفع به الروح الثقيل ،
روح الشيطان المتعالى الذى يقول الناس إنه يسود العالم

١٠١ — أحسنت والله اهذهأ أمسى

قال ابن الخطيب البغدادي : كان بين أبوى العباس (ثعلب
والمبرد) منافرات كثيرة ، والناس مختلفون في تفضيل كل
واحد منهما على صاحبه . وقال محمد بن خلف : كان بين المبرد
و ثعلب من المنافرة ما لا يخفاه به ، ولكن أهل التحصيل
يفضلون المبرد على ثعلب

قال عبيد الله (١) بن عبد الله بن طاهر : حضرت مجلس
أخى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وحضره أبو العباس ثعلب
وأبو العباس المبرد النحويان . فقال لى أخى محمد : قد حضر
هذان الشيخان وأنا أحب أن أعرف أيهما أعلم ، فاجلس في
الدار الفلانية ، ويحضر هذان الشيخان بحضرتك ويتناظران
فقلت ما أمر ، وحضرا فتناظرا في شئ من علم النحو مما أعرفه ،
فكنت أشار كهما فيه ، إلى أن دققا فلم أفهم ، ثم عدت بعد
انقضاء المجلس ، فسألني فقلت : إنهما تكلفا فيما أعرف فشاركتهما
في معرفتي ، ثم دققا فلم أعرف ما قالوا . ولا والله يا سيدي ،
ما يعرف أعلمهما إلا من هو أعلم منهما ، ولست ذاك الرجل
فقال أخى : أحسنت والله اهذهأ أحسن (٢)

(١) له عمل من الأدب والنصرف في فنونه وروايه الشعر وقوله ، والعلم
باللغة وأيام الناس ، وعلم الاوائل من العلافه في الموسيقى والمهندسة وغير
ذلك مما يحل عن الوصف (الاغانى) (٢) يعنى اعترافه بذلك

لِسَانُ الْعَرَبِ

لابن منظور الافريقى مرتباً ترتيباً حديثاً

إجابة لرجاء الكثيرين لا تزال الفرصة سانحة للذين
يبتغون الحصول على اشتراك مخفض في الجزء الثالث والرابع
من اللسان فأرسل ٢٠ قرشا صاغاً تعتبر مشتركا فيهما —
وأضف ٣٠ ملية للبريد في مصر وضمعتها في الخارج
ملاحظة فمن الجزء الاول والثاني الآن ٣٠ قرشا صاغاً
عدا أجرة البريد

الاشتراكات ترسل باسم : عبد الله اسماعيل الصاوى
صاحب دار الصاوى للطبع والنشر والتأليف بشارع الأزهر
عند الخليج المصرى

وهذه هي الأغنية التي رفع زارا صوته بها بينما كان
(كوييدون) إله الحب يرقص مع الصبايا الفاتنات :

« لقد حدثت يوماً في عينيك ، أيتها الحياة ، فحسبتي
هويت إلى غور بعيد القرار . غير أنك سحبتني بشباك من
ذهب وأطلقت قهقهة ساخرة عند ما قلت إن غدرك لا قرار
له . وأجبتني : — هذا ما نقوله الأسماك جميعها ، فهي إذ تعجز
عن سبر الأغوار تحسبها لا قرار لها . وهل أنا إلا المتقلبة
النفور ؟ وهل أنا إلا امرأة ، وامرأة لا فضيلة لها . . . لقد تقول
الناس كثيراً عن صفاتي ولكنهم أجمعوا على أنني غير
المتناهية ، المليئة بالأسرار

أيها الرجال ، إنكم ترون في فضائلكم ، فأنتم لا قبل لكم
بادراك شيء آخر غيرها أيها الفضلاء . . .

هذا ما كانت تقهقه به في سخريتها تلك الحياة ، غير أنني
لا أثق بها ولا أصدق ضحكها عند ما تهجو نفسها

وناجيت يوماً حكئي النفورة فقالت لي غاضبة : — إنك
تطلب الحياة وتشتاقها وتحبها وذلك ما يحفز بك إلى بذل
الثناء عليها

ولولا أنني تمالكك نفسي لكنت رددت بعنف على
حكئي وأعلنت الحقيقة لها وهي تغاضبني وهل من جواب
أشد وقعا على الحكمة من أن تهتك سرائرها

ما أحب شيئاً من صمم الفؤاد إلا الحياة ، ولا يبلغ حيي
لها أشده إلا حين أكرهها . وإذا ما أنا اندفعت إلى الحكمة
وأغرقت في الالتجاء إليها فاذك إلا لأنها تبالي بتذكيري
بالحياة . فان للحكمة عيني الحياة ولها ابتسامها . بل لها أيضاً
شبابها المذهب ، فما حيلتي بهما إذا تشابها إلى هذا الحد ؟

وعند ما سألتني الحياة عن الحكمة أجبتني : هي الحكمة
يشتهاها الإنسان بكل قوته ولا يشبع منها . فهو يحرق فيها
ليتين وجهها من وراء القناع ويمد أصابعه بين فرجات شبابها
متسائلاً عن جمالها وما يدريه ما هو هذا الجمال ومع هذا
فإن أقدم الأسماء لا تنفك عن الانجذاب إلى طعمة شبابها
فهي متقلبة شديدة المراس . ولكم رأيها تعض على شفتها
وتسرح شعرها ، ولعلها شريرة ومخادعة ، بل لعل لها صفات

المرأة بأجمعها فهي لا تبلغ أبعد مداها في اجتذاب القلوب
إلا عند ما تهجو ذاتها ...

وبعد أن قلت هذا عن الحكمة للحياة ، مرت على شفتها
ابتسامة شريرة وغضت من جفنيها قائلة : — عن تتكلم ...
لعلك تتكلم عني أنا ... وهل للإنسان أن يعلن مثل هذه
الأمور بوجه من تعنيه حتى ولو كان محقاً . فاقولك الآن
في حكمتك يا هذا ... ؟

وفتحت الحياة المحبوبة عينيها فحسبتي عدت إلى التدهور
في الهاوية البعيدة القرار ،

هذا ما يتغنى زارا به وما انتهى الرقص وتوارت الصبايا
عن أبصاره حتى تملكه حزن عميق فقال : لقد اختفت
الشمس وترطب المرج وقد بدأ الغاب يرسل لفحاته البارقات .
إن شيئاً مجهولاً يدور حولي ويحدجني قائلاً : — ألم تزل على
قيد الحياة ، يا زارا ؟ ولماذا أنت حي بعد ؟ وما هي فائدة هذه
الحياة ؟ ما هو مصدرك وإلى أين مصيرك أفليس من الجنون
أن تبقى في الحياة ؟

ويلاه ، أيها الصحاب ، إن ما يتناجى في إنما هو الغسق
فاغترفوا لي شجوني . لقد جاء المساء فاغترفوا لي قدوم
المساء ...

هكذا تكلم زارا ...

الكهنة

وتمثل زارا مرورهم من الكهنة أمامه ، فقال لأتباعه :
هؤلاء هم الكهنة ؛ فعليكم . وإن كانوا أعدائي . أن تمروا
أمامهم صامتين وسيوفكم ساكنة في أعماقها فإن بينهم أبطالا
ومنهم من تحملوا شديد العذاب فهم لذلك يريدون أن
يعذبوا الآخرين .

إنهم لأعداء خطرون ، وممن حقد يوازي ما في اتضاعهم
من ضغينة ، وقد يتعرض من يهاجمهم إلى تلطيخ نفسه . ولكن
يبنى وبينهم صلة الدم وأنا أريد أن يبقى دمي مشرفاً حتى
في دماهم .

وعاد زارا يتمثل أنهم مروا وانصرفوا ، فشدت بأم شديد
قاومه لحظة حتى سكن روعه ، فقال : — إنني أشفق على هؤلاء

على الاعتقاد بخلصهم ، إذ لا بلوح لى أن أتباع هذا المخلص قد ظفروا بالخلص .

لكم أتمنى أن أراهم عراة ، وهل لغير الجمال أن يدعوا الناس إلى التوبة ، ولكنهم عبارة عن لجائع مسترة لا يسعها أن تجتذب إلى الايمان أحداً .

والحق ، أن مخلصي هؤلاء الكهنة أنفسهم لم ينحدروا من سماء الحرية وما وطنوا مسالك المعرفة قط ، فإكانت حكمتهم إلا نسيجا ملائمة الخروق رقعوه بما أوجد جنونهم من آلهة . لقد أغرقهم حكمتهم في بحيرة الأشفاق فهم كلما زفروا فيها أرسلوا بجثة عظمى تطفو على سطحها .

ولقد زعق هؤلاء الرعاة بقطعانهم فضت متدافعة في فجوة واحدة وقد علا صراخها كأن التوصل إلى مخارج المستقبل تمتع من غير هذه الفجوة الضيقة . أما والحق ما هؤلاء الرعاة إلا فريق من هذه السائمة وقد ضاقت عقولهم ورجبت نفوسهم وسرعان ما تصغر العقول إذا كبرت النفوس .

لقد تركوا على كل معبر اجتازته أرجلهم آثار الدماء ، إذ كانوا يستلهمون جنونهم ليعلموا الناس أن الدماء تقوم شاهدة للحق . وقد جهلوا أن أفسد شهادة تقوم للحق إنما هي شهادة الدم ، لأن الدم يقطر سماً على أنقى التعاليم فيحولها إلى جنون وإلى أحمق .

أفتقيمون للحق دليلاً من اقتحام أحد الناس للهب في سبيل تعاليمه . وهل لمثل هذا التعليم ما للعقيدة التي تولد متقدة من لهبا نفسه ؟ إذا ما تلاقى رأس بارد بقلب مضطرب نشأت من التقائهما تلك العاصفة التي يدعوها الناس مخلصاً .

ولكم وجد على الأرض من رجل أعرق منشأ وأرفع مقاماً من يدعوهم الشعب مخلصين ، وما كان هؤلاء المخلصون إلا عاصفات كاسحات تهب متوالية على الأرض

إذا ما كنتم تنشدون سبل الحرية ، أيها الاخوة ، فعليكم أن تنقدوا أنفسكم حتى من يفوقون هؤلاء المخلصين عظمتهم ومجداً . فإن الانسان الكامل لم يظهر على الأرض بعد . لقد حدثت بأعظم رجل وباحقر رجل عن كذب وهما عاريان فظهرا لعيان متشابهين ، بل رأيت أعظمهما أشد ترغلاً في المعائب البشرية من الآخرين .

هكذا تكلم زارا ...

الكهنة ، وأنا لا أزال أنفر منهم ولكنني تعودت الأشفاق مرغماً نفورى منذ صحبت بنى الانسان ، ومع ذلك فأنا أأمل مع هؤلاء الكهنة لأنهم في نظري سجناء يحملون وسم المنبوذين في العالم ، وما كيلهم بالأصفاد إلا من دعوه مخلصاً لهم ، وما أصفادهم إلا الوصايا الكاذبة والكلمات الوهمية ، فن هؤلاء من يخلصهم من مخلصهم ...

لقد لاحت هؤلاء الناس جزيرة في البحر على حين ثارت عليهم زوبعة فنزلوا إليها فاذا هم على ظهر تين قائم على العباب وهل من تين أشد خطراً على أبناء الحياة من تين الوصايا والكلمات الوهمية وقد كن فيها المقدور طويلاً حتى حان وقت انتباه التين ؟ وما هو يهب مفترساً جميع من بنوا مساكنهم على ظهره .

انظروا إلى المساكن التي بناها هؤلاء الكهنة وقد أسموها كنائس وما هي إلا كهوف تنبعث روائح التعفن منها . وهل للروح أن ترتفع إلى مستواها تحت لآلاء هذه الأنوار الكاذبة وفي هذا الجو الكثيف ، حيث لا يسود إلا عقيدة تصم الناس بالخطيئة وتأمرهم بصعود درجات الهيكل زحفاً على الركب

اتنى لأفضل أن أنظر إلى اللحظات الفاحشة من أن أرى هذه العيون أطبقت أجفانها معلنة خشوعها واستغراقها .

من ذا الذى اخترع هذه الكهوف وهذه الدرجات يرقاها النادمون زاحفين ، أمى من إيجاد من استحيوا من صفاء السماء فلجأوا إلى الاستتار ؟

لن أعود بقلبي ألبج مساكن هذا الاله إلا إذا اثبتت قبائها واخترقها نور السماء الصافية لتكشف عن الشقائق الحمراء النابتة على جدرانها المتهدمة .

لقد أراد هؤلاء الكهنة أن يعيشوا كأشلاء اموات فسريلوا جثثهم بالسواد فاذا هم ألقوا مواعظهم انتشرت منها رائحة اللحد .

إن من يجاور هؤلاء الناس فكأنما هو ساكن على ضفة الأنهار السوداء حيث لا يسمع إلا نقيق الضفادع الحزين ليسمعني هؤلاء الناس نشيداً غير هذا النشيد لأمرن نفسي



في فن التصوير

أو هل فسرت معنى مجهولاً؟ أو هل مهدت خطوة في سبيل غرض سام؟ أو هل ألفت بصيصاً ولو ضئيلاً من النور على ظلام الحياة؟ أو هل أضافت نغمة ولو خافتة إلى موسيقى الكون؟ إذا التمسنا شيئاً من ذلك ووجدنا له أثراً يشير إليه أو لمسنا صدى له في نفس المصور كان لنا أن نأمل من هذا الفنان شيئاً. المصور العبقري كالشاعر العبقري كلاهما كالنبي المعجز غرس الله في قلوبهم بذرة الخلود تجمع بينهم رابطة الروح السماوي والنور الإلهي وهم يصدرون عن إيمان صادق ووحى أمين وإن كان لكل وجهة يوليها وعالم يكشفه.

والمصور الصادق قطعة من الحياة تهذب وتثقف، يرتاد سبيله ملهماً ببصيرة سماوية وقلب دافق الاحساس مرهف، ومهجة فياضة الشعور، ووجدان بالغ الدقة متته في اللطف؛ فهو روح مجرد يطير في كل أفق، ويحوم في كل خميلة، ويرد كل غدير، ويعتلي كل فن، ويدوم فوق كل منظر بهيج فيحيطه بفؤاد خفاق، ويلتهمه بعين جديدة، ويحمله أشعة وظلالاً ويحمله روحاً بروح تسجله للأبصار في أسلوب ناطق وخفي، ويحده بأطار من شعوره وفيض إحساسه.

فاذا كان هذا قدر المصور الفنان الصادق الأمين. إنسان بالغ النبل نقي الروح ذكي النفس عظيم السمو لزم أن يكون أسلوبه الذي يضمه روحه نبيلاً على قدر نبلة سامياً على قدر سموه، ولزم أن تكون موضوعاته التي يختارها لأداء فكرته وحكاية قصته ولشرح عاطفته أو غير ذلك من الأغراض، لزم أن تكون على قدر نبلة وسامية على قدر سموه؛ فالفنان الذي يصور البعث والوحي أو الصلاة أو الحزن أو الحب أو الأمومة وما يدخل تحت فصل الجمال الروحي أنبل من المصور الذي يصور الحقد والدماغة أو التبذل والوحشية أو الرذيلة للاستمتاع بتصويرها لا للنهي عنها. هذا تدور خواطره على مشاغل

يقف الإنسان أمام صورة من الصور ويلقي عليها نظرة عارضة عاجلة فيصدر في الحال حكمه عليها أعجب بها أم لم يعجب؟ أنالت من نفسه ارتياحاً؟ أسكن وجدانه إليها؟ ولماذا أعجب بها؟ ولماذا لم يعجب؟ وما هي العاطفة السكائمة التي تصدر هذا الحكم بتلك السهولة لها أو عليها؟ أهو الذوق؟ وما هو الذوق؟ أهو العقل؟ وعلام يستند العقل؟ هذا ما نحاول شرحه في هذا المقال متوخين الإيجاز في تناول موضوع التصوير بصفة عامة لأنه فن واسع الأفق لا يحيط به مقال واحد ولا كتاب واحد. ليس التصوير إلا لغة للتعبير وأسلوباً من أساليب الوصف والافضاء عن الشعور والعاطفة، فكل مصور درس أصول التصوير وقواعده هو ككل إنسان تلقن قواعد الكلام وأصول الصرف والنحو ليستطيع التخاطب بلغة سليمة متألقة، ولكن على قدر انتشار اللغة سليمة صحيحة غير مشوبة باللحن لا نجد كل متكلم أديباً ولا شاعراً، فكذلك ليس كل من تناول ريشة الفن وأتقن مزج الألوان فناً موفقاً، وكذلك على قدر التفاوت بين طبقات الأدباء والشعراء يتفاوت الفنانون مقدرة وعجزاً. فلهذا التصوير على ذلك ليست إلا أداة أو وسيلة لغاية بعيدة يريد المصور أن يبلغها، ونحن إذ ننظر إلى الصورة يجب أن نبحث أولاً عن هذه الغاية. ماذا يريد صانعها أن يقول. فاذا لم نجد من وراء صورته فكرة أو غاية مفيدة فالصورة لغو لا طائل تحته، إذ لكل صورة قصة يجب أن تقصها وإلا نهى بكاء صماء أو هراء من القول وهذر مخطوط ومضيعة للجهود والوقت باللغة ما بلغت أداة التعبير من إتقان. وأقل ما نلتزمه في صورة من الصور أن نستخرج لها ميزة تميزها وشخصية تسم بها. هل سجلت شيئاً جديداً كان خافياً علينا؟

الغريزة فالغريزة هي في الواقع التي تؤلف بين الرجال على الإعجاب بجمال المرأة أو هي على الأصح التي كانت منذ الزمن الأول ترغب الرجل في المرأة؛ فلما ارتقى وهذب من غرائزه وتسامى بها عن أن تكون مطلقة الحيوانية تغير إلى حد كبير نظره إلى المرأة فأصبح يحل جمالها لذاته مجرداً عن دافع الشهوة، وبعدت عن خياله تلك الصور التي كانت تجسمها الغريزة الجنسية وتمثلها الرغبة الحيوانية، فلم نعد نسمع شاعراً يتغنى بثقل الردفين وانقطاع الحصر وكثيب الرمل. ولم نعد نسمع قول بشار بن برد:

أو عضة في ذراعها ولها فوق ذراعي من عضها أثر
أو لمسة دون مرطها يدي الباب قد حال دونه الستر
ولم نعد نسمع تلك النوايسات الماجنة وما إليها من دلائل الاحساسات البهيمية، وإذا بنا تطرق قلوبنا هذه الأغاني الخالدة التي تسمو بأرواحنا، إذا بنا نسمع العقاد يقول:

أغلى جمالك في التواظر أنه عوض لشين في النفوس كثير
وأنا له منها المقادة أنه في الأرض رمز كالمحظور

وقوله: —

ان التعاطف بالأرواح بفتنا وفي القلوب على الأرواح عنوان
وقوله: —

فحش في جوار الناس شخصاً مجسماً
وعش في فؤادي صورة تتخيل
فالغريزة هي الأصل في الإعجاب بشيء دون شيء، ولما تهذبت وارتقت استحال إلى ما نسميه نبلاً أو ذوقاً رفيعاً وإن بقيت للغرائز الأولى بعد نزعاتها.

ولكن هذا الذوق له فصول وأسس، وله قواعد وقوانين تضبطه وتحده، فلم يعد جمال الجسم الانساني صباحة وجه، وسطوع جبين، وامتلاء جسم أو نحافته، أو غير هذه الأوصاف من المعاني المطلقة، بل وضعت له مقاييس وأطوال - وإلى هنا يكون للذوق ضابط يحفظه في حدود مرسومة، ولكنه لا يخضع لها خضوعاً مطلقاً ولا يتكش بين تلك الأعلام والأوضاع الضيقة إذ أنه يكون بذلك جامداً كزاً ذا وجه واحد. ولكن ذلك الجود يتحرك ويحيى بما ينفع فيه من روح، وما ينفع فيه من سحر، فيتخذ صوراً متباينة مختلفة، وإن كانت كلها تدور في حدود هذه الأوضاع، ولكل وجه سيماء

الناس اليومية المادية، وذلك لا تتعلق نفسه ولا يحس في قلبه إلا بكل جليل الشأن. وبلي هذين من يعنى بتصوير الصغير من الأمور والتافه الحقير كعجب الأطفال وأعمال المهرجين وما إلى ذلك ولا ينبغي أن تضيق هذه الحدود إلى أقصى تخومها فنحكم بمقتضاها حكماً قاطعاً لا نقض فيه، إذ أن الفنان النحيل قد يتناول موضوعاً يقل عن مستوى موضوعاته فيسبغ عليه من روحه ويضفي عليه من قدرته وبراعته، ولكن كثيراً ما يشرب النقاش الصغير غير الموهوب والمشغول بحقير الأمور إلى تقليد جليلها فلا يبلغ منه مبلغاً ولا يخرج عن الدائرة التي يدور فيها، وينتهي حيث ينبغي، بل أنه يكشف عن عجزه ويدل على ضعفه ولا يتمخض بعد الجهد الشاق والعناء العنيف عن غير ما تطيقه مؤهلاته وما تنتجه قريحته مثله، ومثل هذا النقاش يحسب غروره وحيا وطمعه عظيمة في الروح وعلوا في النفس

وشتان بين الاثنين أحدهما كالنحلة لا يغذيها إلا الرحيق ولا تهم أو تسمى إلا وراء الشذى الذكي والعبق النقي والعرف الندى، ولا يستويها إلا الزهر المنور والجو المعطر؛ والآخر كالزنبور الطنان يقع على الأقدار ويستطعم الأدران ويأكل الحشرات والديدان.

والنحلة تنتج رحيقاً من رحيق، والزنبور أذى وشراً. تلك رمز التضحية والغيرية، وهذا عنوان الأنانية والآثرة؛ تلك متواضعة خجولة تعمل في رصانة وسكون، وذلك مدع مغرور صخاب طنان بهرجت الطبيعة من ألوانه وعددت فيها للنميمة عليه والايقاع به أو لتفاديه

فلا تستصفرن من النحلة اندماج لونها وهدوئها؛ ولا يفرنك من الزنبور بروزه وطنينه.

وكذلك لا يفرنك من الصورة بهرجة الدعاية لها بل ابحت عن الغاية المحيطة وعن التعبير الصادق الجميل.

كثيراً ما يتفق الناس على أن هذه المرأة جميلة، وأن تلك دمية، ويكادون لا يختلفون في حكمهم، فما الذي جمع بينهم على رأى واحد؟ قد يحتج بان هذه هي أذواقهم وهذه أمزجتهم وأنهم يرون أنها جميلة لأن هذا احساسهم فلا تطلب تليلاً ولا تحليلاً، وفي الحق أن المرأة الجميلة تعجبنا لأول ما نراها لأن قلبنا يهفو إلى حسناتها، ونفسنا تنصب إلى جمالها، ولكننا نتفق في النزوع إلى جمالها والصبابة إليها بدافع من

ضربت المثل بجمال الجسم الانساني ممثلاً في المرأة لأنها مركز اهتمام الرجل ، ولأن الاتفاق على مقياس الجمال فيها يكاد يكون مفروضاً منه . وكلما بعد موضوع الحكم عن أن يكون ذا صلة بفرصة من الفرائز ، أو بعلاقة مباشرة بعاطفة فسيولوجية أو نفسية ، تعقد الموضوع ، وصعب الاتفاق على حكم واحد فيه ، واختلفت الأذواق : فهذا ذوق جميل يصدر حكماً صائباً ، وذلك ذوق فاسد مضطرب الحكم . ولهذا السبب كان لا مناص من أن يوضع لكل شيء حدود يصدر الحكم على أساسها ، فالتشجر والنبات ، والنهر والشلال ، والغدير والبحر ، والمحيط والجبل ، والسماء والسحاب ، والأبنية والعماير . لكل هذه المظاهر أصول وقواعد يؤدي الفن في حدودها ، وكانت هذه الأصول على ذلك ضابط الذوق إلى حد محدود ، فكان الذوق الجميل لم ينشأ نشأة لدنية ، بل هو في الحقيقة غاية الثقافة والتهديب ، وهو عند ما يقبل شيئاً أو يرفضه يظهر لنا أنه أتى ذلك في التوبغيرسند واضح ، ولكن عمل الذوق في الحقيقة نتيجة طبيعية لما وعته النفس وكسبه العقل من قضايا مختلفة ومقدمات منطقية وتاريخ حافل من تجارب الحياة وليس من شأننا هنا أن نعدد الأصول التي تراعى في التعبير عن هذه المظاهر الطبيعية السالفة الذكر فلها مجال آخر نرجو أن يتاح لنا في المستقبل ، ولكنها هنا سنسبظ الشرائط التي يجب توفرها في الصورة ، بوجه عام ، وفي الفنان أيضاً والتي يمكن بمقتضاها أن تصدر حكماً أدنى للصواب فيما نشاهده من صور الفن وهذه الشرائط هي كما ذكرها جون راسكن:

(١) الصدق والحقيقة (٢) البساطة

(٣) نوع من الابهام السحري (٤) إيجاز التعبير

(٥) الجرأة (٦) السرعة

هذا ولكي يكون تقديرنا لجمال المظاهر الطبيعية أنم وأوفى يجب أن نجردنا من النغمة وننظر لها نظرة خالصة للفن ذاته وللجمال ذاته . فعند ما نرى نهراً جميلاً يجري بين شاطئين بسقت عليهما الأشجار وغطاهما بساط سندس من العشب يجب أن تقبل أذواقنا جمال هذا المنظر كما خططته يد الله بعيداً عن تدخل يد الإنسان في التحكم فيه والسيطرة على أجزائه — فنحن عن ذوقنا أنه أقيم هنا سد اعترض من النهر انسياء الجميل — وأن هناك آلة رافعة وضعت لتختلس من مائه

بضجيجها وصريرها ، وقامت على جانبه شواهق كالقرحة في الجسم الغض . وتنق عنه أن هناك خطاباً قوياً يعمل فأسه في جذع شجرة ليسقطها وليأخذ خشبها ليصنع منه باباً أو نافذة . والنبوع إذ يتسلسل ماؤه على الحصى ويتدفق على الترى أجمل بما لو أحطناه بسور من البناء لتحصر مائه ، والسياح الحديدي حول مجموعة من الأشجار مشوه لجمالها ، والعصفور الطليق أجمل من العصفور الحبيس في قفص ضيق . وهكذا فإن القلب يحس إحساساً خالصاً بجمال الطبيعة ويندمج فيها ويخفق لها لأن طبيعة الإحساس العاطفي المحض في القلب وهو نامورة الحياة في الجسم الانساني ، أجل وهو الذي يستجيب ويلبي كل شيء جميل حي

وإذا أصاب القلب مرض أو تعطلت وظيفته النتيلة لسبب ما كان كدر صفاءه غضب أو احتياج أو حقد أو غيرها من الحالات التي تخرجه عن طبيعته انبتت علاقته بالحياة فلم يعد يستجيب لها ولا يحس بها إحساساً سليماً صحيحاً . وكذلك الحال عند ما نرى مظهر من مظاهر الطبيعة قد طرأ عليه ما يعطل من طبيعة الحياة فيه . فالزهرة النضرة يعجبنا منها رونقها واتساقها وزهاؤها ونورها وهي بذلك حية سليمة ، وهي لحياتها جميلة غاية الجمال ، فإذا رأيناها ذاوية خبا رونقها ومالت إلى العدم ، والظلي رشيق الحركة وهو سليم صحيح ، فإذا أصيب في ساقه بعرج فهو سقيم ثقيل ، والطير جميل وهو قوى الجناح سليمة ، فإذا كسر جناحه فهو ضعيف ذليل — وكل هذه المخلوقات سعيدة ما دامت وافرة الحياة سليمة الوظائف وهي بذلك جميلة غاية الجمال

ولا ينبغي أن نقرن النظر للشيء الجميل بتحليله إلى عناصره وتعليل مظاهره فنبحث في أن ماء النهر يكون من عنصرى الهدروجين والأكسجين . وأن النهر ينحدر ماؤه بالجاذبية ، وأن الشجر يتمص بمجذوره من الأرض عناصر التغذية . وأنه يحيل ثاني أكسيد الكربون إلى أكسجين نهاراً والعكس ليلاً . فالنظرة إلى الجمال يجب أن تكون مجردة من جميع هذه العوامل وإلا طغى الفكر المحلل على الذوق السليم وسكتت العاطفة وقد تكلم العقل وانتقلنا إلى عالم مادي وبعدنا عن عالم الروح والكمال .



ربيعه الرقي وقصة الذئب والحمل

يعرف كل متأدب الشاعر الفرنسي المشهور لافونتين Fontaine ومنظومته المعروفة (الأمثال) « Les Fables » ولكن من تتبع المصادر التي أخذ عنها هذا الشاعر أمثاله، يتبين أن معظم هذه القصص المنظومة التي حكي أكثرها على لسان الحيوان، مأخوذة من مصادر شرقية ولا سيما كتاب كليله ودمته وأشباهه. نقلت هذه القصص إلى أوروبا قبل عصر لافونتين بالتزاجم اللاتينية أو على السنة التجار والمسافرين، وتناولها هذا الشاعر فغيرها لتلائم أذواق بلاده، ثم صباها في قالب من الشعر الفرنسي السلس. وتبع هذه الطريقة شاعر فرنسي آخر اسمه فلوريان بعد لافونتين بنصف قرن.

وليس قصدنا أن نبحت في هذا الموضوع لنكشف عن مرجع كل قصة من أمثال لافونتين، وإنما نريد هنا أن تقتصر على واحدة من أكثر هذه الأمثال ذيوغا، وهي قصة الذئب والحمل التي شاعت حتى طبقت الآفاق وصارت مثلاً لتجنّي الأقوياء على الضعفاء.

وكان كاتب هذه السطور يصحح كتاب « طبقات الشعراء المحدثين » لأبي العباس عبد الله بن المعتز الذي تطبعه لجنة ذكرى جب في أنكلترا، وسيظهر عما قريب، فألفت الحكاية نفسها في قصيدة لربيعه الرقي أحد الشعراء المحدثين، وعلمت أن هذه الحكاية أيضاً مقتبسة من القصص الشرقية القديمة التي كانت شائعة عند المسلمين في عصر ربيعة الرقي وعندهم نقلها أهل أوروبا، فنظمها لافونتين واشتهرت في تلك الأقطار.

وقد رأيت أن هذه المسألة لا تخلو من فائدة، وأن ديوان ربيعة الرقي أحد شعراء الغزل المشهورين في عهد هارون الرشيد غير مطبوع فاستحسن أن أقدم إلى قراء الرسالة

الكرام قصيدة ربيعة المشتملة على هذه القصة وهي هذه :
أعلل نفسي منك بالوعد والمنى فهلا يأس منك قلبي أعلل
وموعدك الشهد المصطفى حلاوة
ودون نجاز الوعد صاب وحفظ
وأمنح طرف العين غيرك رقة
حذار العدى والطرف نحوك أميل
لكيما يقول الناس إن امرأ رعى
ربيعه في ليلى بسوء لمبطل
لقد كذب الواشون بغياً عليهما
وما منهما إلا يرى معقل
فلو كنت ذا عقل لأجمعت صرمك
برأى ولكني امرأة لست أعقل
وكيف يصبر القلب لا كيف عنكم
وباب فوادي دون صرمك مقفل
ومن أين لامن أين يحزم قتلكم
وقتل لكم يا أم ليلى محلل
أفرك أن لا صبر لي في طلائكم
وأن ليس لي إلا عليك معول
ولما تبينت الذي بي من الهوى
وأيقنت أني عنك لا أتحوّل
ظلمت كذئب السوء إذ قال مرة
لستخلى رأى والذئب غرثان مرمّل
أأنت الذي في غير جرم شمتني ؟
فقال : متى ذا ؟ قال ذا عظام أول
فقال ولدت العالم بل رمت غدة
فدونك كلتي لا هيب لك مأكل

أتبكين من قتلى وأنتِ قتلتي بحبك قتلنا بيناً ليس يشك
فأنت كذبناح العصافير دائماً وعيناه من وجد عليهن تهمل
فلو كان من راف بهن ورحمة

لكف يداً ليست عن الذبح تعطل
فلا تنظري ما تهمل العين وانتظري إلى الكف ما ذا بالعصافير تفعل
(باريس) عباس اقبال

حمى السياحة

كانت السياحة إلى ما قبل جيل فقط نوعاً من الترف
لا يتمتع به سوى الأغنياء ؛ وكانت الرحلة إلى الشام أو إلى
استانبول مثلاً بالنسبة لأبائنا وأجدادنا حدثاً عظيماً يتحدث به ؛
وكان السفر إلى باريس أو الريفييرا متعة الأمراء والخاصة ،
أما اليوم فإن السياحة تغدو حركة ثقافية ورياضية عالمية ،
يستطيع أن يتمتع بنعمها جميع الطبقات المتوسطة ، وغدت
المواصلات البحرية والبرية والجوية ميسورة يطبقها ويستعملها
جميع الناس ؛ وفي عصر السرعة الذي تب ربحه اليوم على
جميع الأمم والمجتمعات يستطيع السائح أن يطوف قارة
بأسرها في أيام معدودات ، ويستطيع أن يقطع البحر إلى
إيطاليا في سبعين ساعة فقط ، وإلى فرنسا في أربعة أيام ،
ويستطيع أن يقطع ما بين الاسكندرية ولندن بالطيارة في
عشرين ساعة . وقد نظمت جميع الأمم السياحة عواصمها
وربوعها ومنتزهاتها بصور وأساليب جذابة سواء في برامج
الزيارة أو في تخفيض النفقات ، وتسابقَت معظم الأمم في
تقرير الامتيازات للسائح بتسهيل المواصلات ومساائل النقل
وغيرها مما يغري السائح بتفضيلها ، وتعنى الهيئات الثقافية
والرياضية بتنظيم الرحلات الرخيصة للطلبة وأصحاب المهن
وجماعات المثقفين وتعنى مكاتب السياحة نفسها بتنظيم الرحلات
الرخيصة للطبقات المتوسطة بأجور مدهشة .

فالسباحة لم تبق اليوم أمنية المترفين ولا حكر الأغنياء ،
ولكنها تغدو في تناول معظم الطبقات ؛ ويرجع الفضل في
ذلك إلى تحسن المواصلات العالمية ورقبها السريع المدهش ،
وإلى تنافس الأمم السياحية في استثمار موارد السياحة إلى
أقصى الحدود ، ويرجع أيضاً إلى تقدم الصلات الدولية بين
الشعوب المختلفة وإلى الرغبة في تبادل الاطلاع والمعرفة
والثقافة ، وتبادل المزايا التجارية والاقتصادية ، وقد هبت

هذه الريح السياحية على مصر في الأعوام الأخيرة ، وأتيحت
الفرصة لطبقات جديدة من المتوسطين أن يقوموا برحلات
بديعة بأجور زهيدة ، وسرت الرغبة في جميع طبقات المثقفين
ولا سيما الشباب أن يسافروا وأن يسوحووا وأن يتعرفوا
أحوال الأمم الأخرى ، وقد وصلت هذه الحمى السياحية إلى
أقصاها في هذا الفصل حيث تعزم الوف عديدة من المصريين
السفر إلى زيارة معرض باريس الدولي لا فرق في ذلك بين
المترفين وصغار الموظفين والطلبة والمتوسطين ؛ وهذه رغبة
مشروعة لا اعتراض عليها ، بيد أنه يخشى أن تؤدي المبالغة في
تحقيقها إلى إسراف لا نحمد عواقبه ، إذ تسرب أموال
المصريين إلى الخارج بكثرة ، وتضطرب مالية كثير من
المتوسطين وصغار الموظفين خصوصاً وإنه لا توجد بمصر قوانين
لتقييد العملة أو تحديدها كما هو الشأن في معظم البلدان ، ولهذا
يحسن بولاة الأمور أن يبحثوا هذه المسألة وأن يضعوا لها
بعض الحدود والقيود المعقولة

كتاب هدير لما رياريمارك

صدر أخيراً في أمريكا كتاب جديد لما رياريمارك عنوانه :
« الرفاق الثلاثة ، Drei Kameraden . وريمارك كما نذكر
هو مؤلف الكتاب الذي لقي أعظم نجاح في عصرنا وهو
القصة المسماة « كل شيء هادئ في الميدان الغربي » التي تدور
حوادثها على حياة الجندي أثناء الحرب الكبرى . والكتاب
الجديد هو أيضاً قصة اجتماعية عسكرية من النوع الذي حذقه
هذا المؤلف الذي جباه الحظ بأكثر مما حبه مواهبه الكتابية
وريمارك الآن في التاسعة والثلاثين من عمره ؛ وجيائه
قصة عجيبة ، فهو ألماني من وستفاليا ، وكان في حداته يغني في
جوقة بعض الكنائس ؛ ولما نشبت الحرب كان جندياً بحارب
في الميدان الغربي ؛ ولما انتهت الحرب في سنة ١٩١٨ وعاد
ريمارك إلى وطنه لم يجد سيلاً للعيش ؛ فاحترف مهنة البائع
المتجول في القرى وأخذ يبيع السلع الرخيصة للنساء القرويات ،
ولكنه كان في خوف دائم من البوليس لأنه لا يحمل رخصة
البائع ، ثم ترك هذه الحرفة واشتغل صيماً لبناء أثرى ، ثم
اشتغل عاملاً في أحد الملاهي وبدأ حياته الكتابية بتحرير
الاعلانات ، وكان يحورها أحياناً بالنظم ، ثم اشتغل كاتباً رياضياً

آثار فرعونية في خطر

من أبناء فينا أن الدكتور أرست آبلت العلامة الأثرى النموى والأستاذ بالمعهد المصرى بجامعة فينا قد أعاداً أخيراً إلى العاصمة النموية بعد أن قضى بمصر بضعة أشهر متعباً في بعض أنحاء الصعيد الجنوبية ، ووقف على معلومات ومواد أثرية ثمينة ولا سيما بشأن المعابد والهياكل الجنوبية . وقد صرح الدكتور آبلت لبعض الصحف النموية أن تلبية خزان أسوان ، وما يستتبع ذلك من غمر مياه النيل لبعض المناطق الأثرية المجاورة يهدد سلامة المعابد والآثار القائمة في هذه المناطق خصوصاً أن المياه تغمر بعضها الآن حتى القمة ، وكانت البعثة النموية للحفريات قد توقفت عن العمل نحو ثلاث سنوات لحاجتها إلى المال ثم استأنفت عملها في الشتاء الماضى . وقد عثرت أثناء حفرياتها على عدة هياكل عظيمة فرعونية وبعض تحف حجرية ، وستعود في الشتاء القادم إلى استئناف أعمالها في منطقة بنى سلامة من أعمال مديرية أسوان

كتاب فارسي قديم في الجغرافيا

أصدرت مطبعة « بريل » في ليدن E. J. Brill . Leiden كتاباً فارسياً قديماً في الجغرافية ترجمه المستشرق منورسكى ترجمة كاملة عن الفن الفارسى :

وهذا الكتاب - واسمه « حدود العالم » - لمؤلف فارسى قديم لم يعرف ، ألفه سنة ٨٣٧٢ . وكان قد عني به المستشرق الروسى بارتولد فكتب له مقدمة طويلة ونشره في سنة ١٩٣٠ ، غير أنه وجد صعوبة في تحقيق أسماء الأماكن والمدن الإنجليزية التى وردت في الكتاب فعمد إلى اختصار بعض موضوعاته .

كتاب المتنوى في اللغة الإنجليزية

أصدرت مطبعة بريل في ليدن الجزء السابع من سلسلة كتاب المتنوى لجلال الدين الرومى ، وهى توالى إخراج هذا الكتاب سلاسل وأجزاء مع ترجمته إلى الإنجليزية وتعليقات عليه بقلم المستشرق رينولد نيكلسن

وكتاب المتنوى مؤلف قيم معروف ، وقد قرظ صاحبه بهذه العبارة الماثورة : « إنه جاء بكتاب وإن لم يكن نبياً ، وقد عرض فيه مؤلفه لمبادئ الصوفية وتعاليمها فشرحها شرحاً مستفيضاً .

(البقية في ذيل الصفحة التالية)

لاحدى الصحف ، ثم كتب قصته الشهيرة فلم تنل في البداية سوى قليل من النجاح ، ولكن القدر كتب له بعد ذلك هذا النجاح العظيم الذى لقيه والذى أثرى من جرائه وعرف الحياة الناعمة وهو ما يزال في عنفوان شبابه ، وكان من حسن طالعه أيضاً أنه كسب على مائدة الميسر ذات يوم مبلغاً كبيراً من المال قبل أن يواتيه النجاح ، فاستطاع بذلك أن يصلح شأنه وأن يسبح في معظم بلاد العالم . ويعيش ريمارك الآن في منفاه في سويسرا كباقي الكتاب الألمان الأحرار الذين طاردهم ألمانيا هتلرية وأخرجتهم من أرض الوطن

قسم التفكير والآداب بمعرض باريس

أنشئ أخيراً في معرض باريس الدولى قسم للكتاب وإذاعة الفكر برياسة المسيو (جوليان كان) مدير المكتبة الوطنية . والمتنظر أن يكون هذا القسم نواة لمتحف الآداب الذى سينشأ في المستقبل القريب في أبنية دار الصناعة (الأرسنال) وسيكون متحف الآداب أكبر ما عرف من نوعه ، ويضم مجموعات عظيمة من الصور والمخطوطات والطبعات النادرة والتجارب المصححة والوثائق المتعلقة بتراجم كبار الكتاب والمجموعات الخاصة ؛ وهذه المجموعات والتحف توجد الآن مبعثرة في أقسام المكتبة الوطنية : ويتضمن القسم الأدبى بالمعرض تطور الآداب منذ عصر الإمبراطورية حتى الوقت الحاضر ، ومنها معروضات كثيرة تخص الكتاب المعاصرين . والمقصود أن تعطى فكرة واضحة عن تطور الكتابة والطباعة والأعمال الأدبية ، وأن تعرف أكثر الأوقات والمواسم الأدبية إنتاجاً . ويشمل القسم الأدبى ما يتعلق بكتاب عظام مثل بلزاك وفكتور هوغو وفلوبير وستندال ورينان وبودلير وبروست ، ويقوم بعرض كل كاتب من هؤلاء كاتب من المعاصرين يختص بالتحدث عن حياته وآثاره وأسلوبه . ويشرف على عرض مخطوطاته وصوره وجميع الوثائق المتعلقة به ومنها تحفه وآثاره وتجارب المطبعة التى تحمل تصحيحاته ، وطبعات كتبه وترجماتها . كذلك أعدت أقسام خاصة لكل نوع من المدارس الأدبية مثل المدرسة الواقعية والطبيعية والرمزية ، وأدب المقاهى والأهواء وغيرها . ولا ريب أن هذا القسم من المعرض سيجذب أنظار الكثيرين من الكتاب والأدباء من جميع الأمم



ممنون الفيلسوف

او الحكمة الانسانية

بقلم فولتير

ترجمة الأستاذ عبد اللطيف النشار

آلى ممنون على نفسه : أن يصير فيلسوفاً عظيماً في يوم من الأيام . وقليل من الناس هم الذين لم يعتزموا في وقت ما مثل هذا العزم للرائع .

قال ممنون في نفسه : إن بلوغ الكمال في الفلسفة معناه بلوغ الكمال في السعادة . وليس على أن أعمل لكي أصير فيلسوفاً إلا التجرد من كل الشهوات ؛ ولا شيء أسهل من ذلك كما

يعرف كل إنسان . وسأبدأ بمقاومة الحب فإذا رأيت امرأة جميلة أقول في نفسي إن هذه الحدود ستدركها الغضون ، وإن هذه العيون ستصبح طعاماً للدود ، وإن هذا الرأس سيصبح جمجمة منخوبة . فإذا ما تصورت خيالها وهي كذلك فإن جمال وجهها لن يؤثر في نفسي

هذا من جهة . ومن جهة أخرى فإني سألزم القصد والاعتدال ، فإذا ما وجدت من نفسي إغراء على شرب النبيذ الشهى أو الطعام المرء أو غيره مما يفتن به المجتمع ذكرتها بآلام الرأس من التغالى في الشراب ، وبآلام البطن من التغالى في الطعام ، وحذرتها من فقدان العقل والصحة . ومتى نجحت التغالى ظلت صحتي موفورة وظل ذهني نقياً وضاه
وقال ممنون : كذلك يجب ألا أفكر كثيراً في الثروة لأن رغائبي معتدلة وما عندى من المال يكفي لأن أعيش مستقلاً

ويتضمن هذا الجزء الذي صدر أخيراً تعليقات المستشرق نيكلسن على الجزء الأول والثاني من الكتاب ، أما الاجزاء التي ظهرت من قبل فهي :

١ - نص الكتابين الأول والثاني .

٢ - ترجمة الكتابين الأول والثاني إلى الانجليزية .

٣ - نص الكتابين الثالث والرابع .

٤ - ترجمة الكتابين الثالث والرابع إلى الانجليزية .

٥ - نص الكتابين الخامس والسادس .

٦ - ترجمتهما إلى الانجليزية .

لجنة امباء ذكرى المنفلوطي :

ناشدة لجنة إحياء ذكرى المنفلوطي أساطين الأدب وأعلام البيان في الشرق العربي على صفحات الجرائد والمجلات أن يفضّلوا بالكتابة عن أدب الفقيد الخالد من شتى نواحيه

بمناسبة مرور ثلاثة عشر عاماً على وفاته وتمييداً لإحياء ذكره في ١٦ يوليو القادم ، وكان ذلك في أول مايو غير أنه والأسف يحز في نفوسنا لم يتحرك قلم لاداء هذا الغرض النبيل كما أنه لم تصل السكرتارية حتى الآن أية رسالة في هذا الموضوع ، ولقد قرأ الرأي - بناء على اقتراح الاستاذ توفيق حبيب - على وضع كتاب عن أدب المنفلوطي لتخليد ذكره ، تتبارى فيه جهابذة الأدباء في جميع أقطار الشرق العربي ، وذلك بأن يختار كل من حضرات الأدباء والشعراء ما يروونه من الموضوعات فيكتب فيها بحثاً ضافياً يرسله إلى السكرتارية قبل آخر يونيو الحالي حتى اذا تكامل لديها ما يكفي لمادة الكتاب قامت بطبعه وأنفقت ثمنه في تشييد قبر يتفق ومكانة المنفلوطي العالمية . واللجنة تتوجه بالرجاء الشديد إلى حضرات الكتاب والأدباء والشعراء ألا يضنوا بمجهوداتهم وأن يحققوا ما تعلقه عليهم من آمال .
سكرتير اللجنة متولى حسنين عقيل

العم الذي كانت تشكوه ؟ لقد جاء مسلحاً ، وكانت أولى كلماته أنه سيضحي بالحكيم ممنون ، وبنت أخيه ، وقد أسرعت الأخيرة فقرت ، وهي موقنة بأن صاحبها سينجو إذا اشترى حياته بكل ما معه من المال . وقد اضطر إلى بذل ما معه ليفتدي نفسه وقد كان الناس في ذلك العهد سعداء لأنهم يستطيعون النجاة ، بسهولة يمثل هذه الوسيلة . وكانت أمريكا لما تنكشف بعد ، وكان السيدات التاعسات أقل تعرضاً للخطر مما هن عليه الآن وخرج ممنون من المنزل متعثراً بأذيال الخجل فذهب إلى منزله . وهناك وجد دعوة إلى تناول العشاء من بعض أصدقائه الخُلصاء ، فقال في نفسه إذا بقيت وحدي في المنزل فإن ذهني سيظل مشغولاً بالتفكير في حادثة اليوم ، ولا أستطيع أن أتناول لقمة ، وربما جلب إلى ذلك مرضاً ، ولذلك سأذهب إلى أصدقائي . وسأنسى في مجلسهم ما ارتكبته اليوم من الخماقة وذهب إليهم فوجدوا عليه بعض علامات القلق وحشوه على أن يشرب ليصرف عن نفسه الهم فقال في نفسه : إن قليلاً من النبيذ لا يتنافى مع الاعتدال ، وهكذا شرب ممنون حتى سكر .

ودعى إلى اللعب بالأوراق فقال إن اللعب بها مدة يسيرة مع صديق لا يتنافى مع الاعتدال . وهذا اللعب من خير الوسائل لتبضية الوقت . ولعب حتى خسر كل ما معه وهو أربعة أضعاف ما كان مستعداً ليلعب به .

ولسبب ما نشأ خلاف بين اللاعبين واشتد الخلاف فصار مشاجرة ، فرماه بعض أصدقائه بصندوق صغير جرح رأسه وإحدى عينيه ، فحمل الفيلسوف ممنون إلى منزله سكران مفقود لإحدى العينين .

نام . ولما أبل بعض الأبلال أرسل إلى مدير المصرف الذي يودع فيه أمواله يطلب ما بقي به ديونه في اللعب ، فعاد الخادم وأخبره بأن المصرف أفلس بالتدليس وأن مئآت من الأسر قد أصبحت في أشد حالات البؤس والفاقة ، فكاد يذهل ممنون ، وذهب إلى البلاط لرفع قضيته ، وهناك وجد عدداً من السيدات وآخر من القسس ورأته إحدى صديقاته فصاحت : « مالك يا مسيو ممنون ! كيف فقدت إحدى عينيك ؟ » ثم جرت دون أن تنتظر الجواب ، فانتظر ممنون حتى الساعة

وهذه أكبر نعمة في الوجود . ولن أجد ضرورة لحضور حفلات الرافضة في القصر . ولن أحسد إنساناً ولن يحسدي إنسان . وهذا كله سهل . ولي أصدقاء ، سأحتفظ بهم ولم ينشب بيني وبينهم خلاف فلم أعترض أحدهم في قول أو فعل وسيسلكون معي هذا المسلك . ولا صعوبة في ذلك ...

وهكذا وضع ممنون خطة لفلسفته ثم أطل من النافذة فرأى امرأتين تسييران تحت الأشجار ، وكانت أحدهما كبيرة تبدو عليها علامت الرضى ، والثانية صغيرة جميلة . ولكن علامت التذمر بادية عليها . وكانت تبكي وتتنهد ، فتأثر فيلسوفنا من رؤيتها . على أنه من المحقق أن جمالها لم يكن له دخل في هذا التأثير . (لأنه آلى على نفسه ألا يزججه شيء من هذا القليل) بل كان تأثيره بسبب الحزن الذي رآها فيه ، فنزل من المنزل ليعزي تلك السيدة . بفلسفته ، فروت له الجميلة بأبسط اللهجات وأشدّها تأثيراً ما تتألم منه . وشكت له من عم تخيل وجوده يريد أن يحرمها ثروة تتوهمها . وقالت : يظهر أنك رجل حكيم . وإنك لتقدني من متاعبي إذا أتيت إلى منزلي ودرست قضيتي وأشرت على بالرأى الذي تراه

فلم يتردد ممنون في اتباعها لدرس قضيتها دراسة فلسفية ويشير عليها بالرأى الراجح وقادته المرأة الجميلة إلى حجرة تفوح منها روائح العطر وأجلسته على نمرقة متسعة وجلست أمامه جلسة المتحدث إلى من يتحدث وقد تقاربت أقدامهما . وكان أحدهما يقص قصته والآخر يصغى إليه أتم الأصغاء .

وكانت السيدة تتكلم وهي ناظرة إلى الأرض والدموع تنحدر من عينيها بين حين وحين . ثم ترفع بصرها لتتأمل وجه الحكيم ممنون . وكان الحديث في منتهى الرقة . وقد زاد عطف الفيلسوف وسر بأن يكون في وسعه تخفيف الألم عن مخلوقة هذه الدرجة من الجمال ، وهذه الدرجة من التعاسة . ولما اشتدت حرارة الحديث جلس المتحدثان المتقابلان جنباً لجنب ، وتدانى الساقان ، وكان ممنون يمنحها من نصحه الرقيق ومن عطفه حتى صار كلاهما لا يستطيع الكلام عن الموضوع الذي كانا يتناولانه . وحتى صار كل منهما لا يدري أين هو وفي مثل هذا الحين من الذي يظن أنه يأتي إليهما غير

التي يستطيع فيها الارتقاء على قدمي الملك لبث شكواه .

وأخيراً جاءت تلك الساعة فقدم إليه عريضته . واستقبله الملك إستقبلاً حسناً . ولكن كبير الأمناء صاح به بعد ذهاب الملك : « كيف تقدم عريضتك إلى الملك مباشرة دون تقديمها إلى ؟ وكيف تطلب المقاضاة على تفليسة شريفة ضد ابن أخت وصيفة زوجتي ؟ إن هذا التصرف يدل على أنك لا تحرص على عينك الأخرى ،

فعند ما سمع ممنون ذلك — وكان إلى الآن عازماً على هجر النساء والتقليل من الطعام والشراب وترك المشاجرة — عزم أيضاً على الكف عن دخول البلاط وعن طرق سبيل القضاء لأن هذا السبيل الحق به الإهانة وحرمة الانصاف وتصدع قلبه من الحزن فعاد إلى المنزل يائساً . ولكنه وجد المحضرين يشرعون في بيع أثاثه وفام لديون دائنيه فوقع على الأرض في حالة تشبه الاغماء . ورأى في الطريق السيدة التي قابلها في الصباح مع عمها فضحكاً منه ضحكة عالية . وفي المساء صنع ممنون لنفسه وسادة من القش ونام بجانب الحائط ، فرأى في الحلم تلك الروح الفلسفية التي كان يتعشقها وهي روح من النور لها ستة أجنحة جميلة . ولكن ليس لها رأس ولا قدمان وهي لا تشبه شيئاً مما سبقته رؤيته ، فقال : « من أنت أيتها الروح ؟

قالت : « أنا روحك ، فقال : « ردى إلى عيني وصحتي وثروتي وعقلي ،

ثم قص عليها قصة يومه فقالت : « هذه حوادث لا تحدث في الموطن الذي أنا فيه . »

قال : « وأين ذلك الموطن ؟ ، فأجابته : « هو على بعد خمسمائة مليون فرسخ من الشمس ، وهو موطن جميل . وليس هناك شياطين تغرى ولا أصدقاء يجالسون المرء ليسلبوا ماله ، وليس هناك من يخرقون عيون الناس ، ولا إفلاس بالتدليس ، ولا أمناء ملوك يسخرون ممن يطلب العدالة ؛ وليست نخدعنا النساء لأنه لا نساء بيننا ، وليس عندنا طعام ولا شراب ، وليس عندنا تفليس لأنه لا ذهب عندنا ولا فضة ، وليس لنا عيون تقلع لأن أجسادنا نورانية ليست كأجسادكم . وليس عندنا بلاط لأن الكل متساوون . »

قال ممنون الفيلسوف : « إذا لم يكن عندكم نساء ولا طعام

ولا شراب فكيف تقضون أوقانكم ؟ ،

قالت : « نحن موكلون إلينا مراقبة دنياكم وقد جئت إليك لأعزيك . »

قال ممنون : « ولكن لماذا لم تأتي بالأمس لتنعيني من اقتراف ما اقترفت ؟ ،

فقالت : « لقد كنت مع أخيك الأكبر « حسن » الذي كان في بؤس أشد من بؤسك لأن سلطان الهند أمر بقطع عينيه وهو الآن في السجن ويدها ورجلاه في السلاسل والأغلال ، قال : « وهل من العدل أن يكون اثنان من أسرة واحدة أحدهما أعور والثاني أعمى ، وأحدهما ينام على وسادة من قش والآخر في السجن ؟ ،

فقالت الروح : « إن حظك سيتغير سريعاً . نعم إن عينك لن تشفى ولكنك ستصير سعيداً إذا نزعت عن فكرك الرغبة في أن تكون فيلسوفاً كاملاً .

قال ممنون : « إذن فذلك مستحيل آ ، فقالت الروح : « إنه لمن المستحيل أن يصير المرء كامل العقل كامل السعادة ، فنحن أنفسنا بعداء عن الكمال مع أننا أرواح . وسيأتي عالم غير هذا العالم يكون ذلك كله ممكناً فيه . ولكن بيننا وبين هذا العالم مائة ألف مليون من العوالم يتدرج فيها المرء إلى ذلك العالم الكامل . وفي كل درجة من تلك الدرجات العالية تنقص الفلسفة وتنقص المسرات بالتدريج حتى يصير الناس في العالم الكامل كلهم بلهاء ،

قال ممنون : « أخشى أن تكون هذه العوالم التي تتدرج فيها إلى الكمال ليست إلا مستشفيات للجذائب وإن عالمنا هذا ليس إلا واحداً منها ،

فقالت الروح : « إذا لم يكن هذا الوصف منطبقاً فإنه ليس بالبعيد ،

قال : « ولكن هل الشعراء والفلاسفة مخطئون إذ يقولون

إن كل شيء في هذا الوجود آخذ في سبيل الارتقاء ،

فقالت : « كلا ليسوا مخطئين ولكن لكي ندين الصدق

فيما يقولون يجب أن نراعي صلة كل شيء بمجموعة العالم

فإنما كمال الأشياء أن يتم اتصالها بالعالم لصالح العالم ،

فأجاب ممنون : « لست أستطيع تصديق ذلك إلا إذا رجعت

إلى عيني ،

عبر اللطيف القسا .